

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف

دراسة تطبيقية في سنن الترمذي

بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص البلاغة

إعداد الطالب : رحمة الله الطيب رحمة الله

إشراف الدكتور :

عبد الرحمن عطا المنان

العام الجامعي

١٤٢٨ - ١٤٢٩ هـ

٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آية قرآنية

قال تعالى :

((هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين .))

سورة آل عمران الآية (١٣٨)

حديث شريف

قال صلي الله عليه وسلم :

(إن من البيان سحراً)

رواه الترمذي

رقم الحديث ٢٠٢٨

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	مسلسل
ج	آية قرآنية	١
د	حديث نبوي	٢
١	فهرس الموضوعات	٣
٤	إهداء	٤
٥	شكر و عرفان	٥
٧	ملخص الدراسة	٦
٩	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	٧
١١	المقدمة	٨
١٨	التمهيد	٩
١٨	أثر القرآن والحديث في اللغة العربية	١٠
١٩	الإمام الترمذي	١١
٢٠	كتابه الجامع	١٢
٢١	البيان في اللغة والإصطلاح	١٣
٢٣	مفهوم الصورة	١٤
	الفصل الأول	١٥
	الصورة التشبيهية	١٦
	المبحث الأول	١٧
٣٤	دور التشبيه في التصوير البياني	١٨
	المبحث الثاني	١٩
٤٢	التشبيه البسيط	٢٠
٤٢	أولاً : تشبيه الأفراد	٢١
٤٢	أ/ ما يدل علي التفاعل والاتحاد	٢٢
٤٥	الأداة : (كَأَنَّ)	٢٣
٤٧	ب / المقارنة في التشبيه	٢٤
٥٢	الأداة : (مِثْل)	٢٥
٥٤	ج/ صيغة أفعال التفضيل المقرونة ب(من)	٢٦
٥٩	التشبيه الضمني	٢٧
٦٠	التشبيه المقلوب	٢٨
٦٢	ثانياً : التشبيه المتعدد	٢٩
٦٢	التشبيه المفروق	٣٠
٦٤	التشبيه الملفوف	٣١
٦٤	تشبيه الجمع	٣٢
٦٦	تشبيه التسوية	٣٣
	المبحث الثالث	٣٤

٦٨	التشبيه المركب	٣٥
الفصل الثاني		٣٦
الصورة الاستعارية		٣٧
المبحث الأول		٣٨
٨٠	مفهوم الاستعارة	٣٩
٨٣	أثر الاستعارة في إبراز المعنى	٤٠
٨٤	تقسيمات الاستعارة	٤١
المبحث الثاني		٤٢
٨٨	الاستعارة المفردة	٤٣
٨٨	أولاً : الاستعارة التصريحية	٤٤
٩٢	ثانياً : الاستعارة المكنية	٤٥
٩٩	ثالثاً : الترشيح والتجريد في الاستعارة	٤٦
المبحث الثالث		٤٧
١٠٣	الاستعارة المركبة (التمثيلية)	٤٨
الفصل الثالث		٤٩
المجاز		٥٠
المبحث الأول		٥١
١١٠	الحقيقة والمجاز	٥٢
١١٠	الحقيقة تعريفها وأقسامها	٥٣
١١٣	المجاز تعريفه وأقسامه	٥٤
المبحث الثاني		٥٥
١١٨	المجاز المرسل	٥٦
١١٨	علاقات المجاز المرسل	٥٧
١٢٤	بلاغة المجاز المرسل	٥٨
الفصل الرابع		٥٩
الصورة الكنائية		٦٠
المبحث الأول		٦١
١٢٧	مفهوم الكناية	٦٢
١٢٩	دور الكناية في التصوير البياني	٦٣
المبحث الثاني		٦٤
١٣٣	أقسام الكناية	٦٥
١٣٣	أولاً : الكناية عن صفة	٦٦
١٤١	ثانياً : الكناية عن موصوف	٦٧
١٤٤	ثالثاً : الكناية عن نسبة	٦٨
١٤٦	الخاتمة	٦٩
١٤٧	النتائج	٧٠

١٤٨	بعض المقترحات والتوصيات	٧١
١٥٠	فهرس الآيات القرآنية	٧٢
١٥٣	فهرس الأحاديث الشريفة	٧٣
١٥٨	فهرس المصادر والمراجع	٧٤

إهداء

*إلى والديّ اللذان مازالا يشجعاني على العلم ،
ومجالسة العلماء .

*إلى معلمي اللغة العربية في كل فح عميق .

*إلى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

أهدي هذا البحث المتواضع .

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مننه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلي الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد

فالشكر للمولى عز وجل أن أمدني بروح منه ، وأسبغ علي من فضله ، ومنحني الصحة والعافية وأضاء لي سبيل الهدى ، ووقفني إلي إكمال هذا البحث ، فأود أن أurd الفضل لأهله ، وأشكر الذين أعانوني علي إعداد هذه الدراسة ، وأخص بالشكر منهم المشرف علي هذا البحث أستاذي الدكتور / عبدالرحمن عطا المنان علي ما قدمه من عون وإرشاد ، وعلى صبره ، وسعة صدره لاستفساراتي ، وتضحيته بالكثير من وقته وجهده راجيا من الله أن يكون ذلك في ميزان حسناته يوم لقائه .

كما أشكر لجنة المناقشة علي تفضلها بقراءة هذا البحث وقبولها له ، وحضورها من أجل المناقشة وإبداء ملاحظاتهم وآرائهم التي لا أشك أنها متممة لكل نقص .

ويكتمل شكري بالاعتراف بفضل مساندة ومعاونة صديقي الحميم الأستاذ/ ياسر عبد الله بابكر الذي ضحى بنفيس ، وقته وراحته حتي خرج هذا الموضوع بصورته الحالية ، وأسرة مدرسة السلام الثانوية النموذجية بالدمارين .

والشكر موصول إلي كل الإخوة الذين تفضلوا بالإجابة علي تساؤلات الدراسة ، وإلي كل من عاونني في إخراج هذا البحث حتي رأى النور.

حبلى الشكر ممدود إلى الإخوة فى مركز الملك فىصل للبحوث
والدراسات الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية ، وكذلك الإخوة
فى مكتبة الملك فهد ، والإخوة فى مكتبة الملك عبدالعزيز بالرياض . فلهم
منا الشكر وجزيل العرفان ، كما أود أن أشكر القائمين على جامعة أم
درمان الإسلامية أساتذة وإداريين وعمال فى تهيئة الجو الدراسي المناسب
لكل طلاب العلم والباحثين .

جزى الله الجميع خير الجزاء وجعلهم زخراً لأمتهم .

ملخص الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من هدف رئيس يدور حول دراسة الصورة البيانية في الحديث ، دراسة تطبيقية في سنن الترمذى ، حيث اعتمد الباحث فيها على المصادر ، والمراجع التخصصية في دراسة الموضوع .

كما اعتمد علي فهمه للنص وتفاعله معه في عملية تجلية الصور البيانية ، وإبراز معانيها التصويرية ، وقد ينقل عبارات الشراح البلاغيين إذا اقتضى ذلك المقام ، وأملته الظروف ، ثم قام الباحث بتوثيق النصوص بالإحالة إلى مصادرهما بالجزء والصفحة في الهوامش السفلية للبحث .

شملت الصورة البيانية مساحة كبيرة في الحديث الشريف ، وجاءت بكثرة في التشبيه والاستعارة والكناية ، وعلي قلة في المجاز المرسل. وكان التشبيه أكثر الأنماط وروداً في الحديث ، يليه الاستعارة والكناية ، ثم المجاز المرسل.

أما هيكل البحث العام يتكون من مقدمة وتمهيد ، وأربعة فصول ضمت عشرة مباحث ، وذلك وفق الخطة التالية :

مقدمة عن أساسيات البحث والدراسة ، وتتكون من مشكلة البحث وأهميته والأسباب التي دعت الباحث إلى اختياره ، والمنهج المتبع في إعدادة ، والجهود السابقة في الموضوع ، ومكانة هذا البحث فيها .

أما التمهيد فتحدث عن : أثر القرآن الكريم والحديث والشريف علي اللغة والبيان لغة وإصطلاحاً ، وعن الترمذى وكتابه الجامع ، ثم بين مفهوم الصورة البيانية .

الفصل الأول : عن الصورة التشبيهية ، ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول فدرس فيه الباحث الصورة التشبيهية ، تناول فيها دور التشبيه في التصوير البياني ، مقسما التشبيه إلى التشبيه البسيط ، والتشبيه المركب (التمثيلي) ، ودرس في التشبيه البسيط مايدل فيه على التفاعل والاتحاد ، (كالتشبيه البليغ والتشبيه بالأداة (كأن) ثم مايدل على المقارنة كالتشبيه بالكاف وبمثل وبصيغة (أفعل) التفضيل المقرونة بـ(من) ، فضلاً عن ذلك التشبيه الضمني والتشبيه المقلوب ثم التشبيه المتعدد.

الفصل الثاني فقد تناول فيه الباحث الصورة الاستعارية في الحديث ، وتعرض فيها لدور الاستعارة في التصوير البياني ، ومن ثم أشار إلى تقسيمات الاستعارة (التصريحية والمكنية) وفضل الترشيح والتجريد في التصوير البياني ، ومن ثم تناول الاستعارة التمثيلية .

أما الفصل الثالث فكانت دراسة عن المجاز، وتحدث فيها الباحث عن الحقيقة والمجاز ، وبين أقسامها وأنواعها ، ثم تكلم عن المجاز المرسل . أما الفصل الرابع فقد خصص للصورة الكنائية في الحديث النبوي، حيث تناول دور الكناية في التصوير البياني ، ثم درس فيه أقسام الكناية وهي كناية عن صفة ، كناية عن موصوف ، وكناية عن نسبة .

وانتهت الدراسة بخاتمة أشار فيها الباحث إلى أهم النتائج التي توصل إليها من خلال دراسة الموضوع ، كما عرض فيها مقترحاته وتوصياته ، ثم اختتم الدراسة بالإشارة إلى المصادر والمراجع التي استعان بها لانجاز هذا البحث ، ولقد بذل الباحث في سبيل ذلك ماوسعه من جهد ووقت . فله الحمد على ماوفق وأعان ، وله الشكر على ما أعطى وأجزل ، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية

ABSTRACT

This Thesis aims at studying the illustrative image of the Hadith by application of Al-Tirmizi book in sunna (of the prophet)

The researcher depended on the sources and specialized references in studying the topic .

The researcher also relied on comprehending the text and its chain reaction in clarifying the illustrative images through putting the explanations of the Muslim intellects documenting the texts by referring to its sources in the footnotes of the thesis .

The illustrative images included big part from the Hadith in concentration in comparisons , metaphor , and metonymy .

The skeleton of the thesis consists of an introduction , preface and four chapters With ten topics according the following plan :
Introduction about the basics of the research and the study ,It consists of the research problem , its importance , the reasons of selecting the topic , methodology ,the previous efforts on the issue , and the situation of this study amongst those efforts .

The preface spoke about the effect of the Holy Kura'an and the Hadith on the language , the rhetoric in language and in idioms , besides information about Al-Tirizi and the comprehensive book and the illustrative image concept . Chapter one was about the illustrative image and it consist of three topics . The first topic

tacked the comparison ,on the illustrative image with concentration on comparison branches .

Chapter Two tackled the metaphoric image in the Hadith in concentration on it role in the illustrative image .

Chapter three spoke about the metonymy and its branches .

Chapter Four was earmarked for antonomasia in the Hadith and its role in the illustrative in mage .

The concluding Chapter tackled the result , recommendation and proposals of the researcher .

The researcher earmarked the last pages of thesis to the references and the sources which he used in conducting the study .

The researcher exerted all his efforts to present a reasonable and useful thesis.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجاً ،
وجعل معجزة خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم معجزة
بلاغية باقية إلى قيام الساعة ، والشكر للمولى الذي أمتنّ على عباده أن
علمهم البيان بعد خلقهم .

والصلاة والسلام على أفصح العرب محمد صلى الله عليه وسلم
الذي أتاه الله جوامع الكلم ، فبيانه يحتل المكانة الثانية بعد القرآن الكريم في
فصاحته وبلاغته وبعد : فإن موضوع " الصورة البيانية في الحديث النبوي
الشريف " موضوع شائق ، ساهر البيان ، عميق الموعظة بعيد الأثر ،
سامي الهدف ، جم الموضوعات ، موضوع يتصل بأعظم وأهم مصدرين
من مصادر فهم هذا الدين الحنيف ، وهو موضوع دقيق ، عظيم الشأن
جدير بالبحث والاهتمام والحيطة في تناوله .

ولقد أودع الله سبحانه وتعالى بالفطرة على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم فصاحة وبلاغة ، وحسن بيان فأضحت أحاديثه شعاعاً نورانياً وسحراً
حلالاً يضيء للمتلقي مسالك الحياة ودروبها بعد القرآن الكريم ، ويمتلك
القلوب والعقول ليس بجماله وبيانه وإحكامه ونظمه فحسب بل بأهدافه
وأغراضه السامية ، ولذا نقرؤه فنلمس ذلك الأثر ، ونعيد القراءة تارة أخرى
فنجد جمالاً ومعنىً جديداً ، يتألق سمواً وروعة .

وكان من نعم الله عليّ أن يكون الموضوع الذي اخترته للحصول
على درجة الماجستير متصلاً بغاية سامية وهدف نبيل وهو خدمة السنة
النبوية وخدمة هذا الدين الحنيف ، ودراسة لأحاديثه الشريفة -صلى الله
عليه وسلم- وقد جعلت عنوان رسالتي " الصورة البيانية في الحديث

النبوي الشريف ، دراسة تطبيقية في سنن الترمذي " ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع :

١- ارتباط الحديث الشريف ارتباطاً وثيقاً بكتاب الله الكريم الذي أنزل على رسوله الأمين بلسان عربي مبين .

٢- تميز أسلوب الحديث عن سائر الأساليب العربية باهتمامه على كل مظاهر البلاغة والفصاحة .

٣- ما أراه في إبراز حديث النبي- صلى الله عليه وسلم- في بحث مستقل يجعل العقول والقلوب أكثر توجهاً إلى السنة المطهرة لما فيها من سمات بلاغية تجذب الدارسين إلى البحث .

٤- خدمة الإسلام والسنة النبوية لعلي أنال قسطاً من هذا الشرف الرفيع .

٥- رغبتني الملحة لأن اختص بالبلاغة العربية لما فيها من متعة ، وذوق رفيع . فضلاً عن صلتها الحميمة بالدين لأنها الأداة الكاشفة لبلاغة القرآن الكريم والحديث الشريف .

٦- الجودة والإفادة : فالموضوع فيه شيء من الجودة إذ لم أجد من الدراسات السابقة ما يكفي في هذا المجال غير إشارات عابرة ، في المجال الديني والفقهي وربما اللغوي والنحوي أما الجانب الجمالي والفني فيبدو أنه يحتاج إلى مزيد من البحث وكذلك أرجو الإفادة فهو موضوع مفيد وإفادته واضحة من خلال كتب الحديث الشريف وكتب البلاغة فتزيد من رصيدي المعرفي الذي يؤهلني للقيام بمهمة التدريس التي أمتنها .

لهذه الأسباب وغيرها اتجهت إلى هذه الدراسة مستعيناً بالله تعالى راجياً منه سبحانه التوفيق والسداد .

الدراسات السابقة:

ولقد حظيت بلاغة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بكثير من الدراسات وتناول الدارسون والباحثون قديماً وحديثاً فصاحته وبلاغته ، وجوامع كلمه عليه السلام بالدراسة والتحليل ، حتى أثمرت تلك الدراسات تاريخاً واسعاً ، غير أن تلك الدراسات الصادرة عن جهود عظيمة لم تكن مستفيضة ولا خاصة بالصورة البيانية في حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم - دراسة تطبيقية وقلما يعرض الباحث صورة بيانية لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كان هناك تحليل فهو دراسة أدبية عارضة ومن أهم تلك الدراسات :

- البيان والتبيين للجاحظ تحدث فيه عن فصاحة الرسول وبلاغته ، وأورد امثلة لبعض الأحاديث الشريفة .
- المجازات النبوية . للشريف الرضي ذكر فيه ستين وثلاثة مئة حديث مشيراً فيها إلى مواضع البيان بصورة إجمالية .
- أسرار البلاغة في علم البيان لعبد القاهر الجرجاني ، وله إشارات قليلة عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .
- العمدة لابن رشيق ، وفيه ينوه بالحديث الشريف من أجل التمثيل ، ويشير بأسلوب عام عن أثر المجاز في نفس القارئ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، وفيه دراسة تحليلية لأمثلة من القرآن الكريم والحديث النبوي وأشعار العرب .
- الطراز: يحيى بن حمزة العلوي. وقد درس فيه بعض الأحاديث النبوية كشواهد على دراسته البلاغية.

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ويخصص من الكتاب قسماً لدراسة فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- وله أيضاً وحي القلم، ويعرض فيه بعضاً من دروس النبوة.
- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية. عز الدين السيد، وهذا الكتاب يدل على جهد كبير وواسع لدراسة بعض الأحاديث دراسة أدبية بحتة.
- التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ وهذا الكتاب دراسة فنية لبعض أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهناك دراسات تحوي مجموعة من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - تقوم بدراسة اللغة والإشارة العابرة للمواطن البلاغية للحديث وبيان نوعه مثل كتاب من بلاغة الحديث الشريف، لعبد الفتاح لاشين.
- وعلى الرغم من تلك الجهود العظيمة التي بذلها هؤلاء الباحثون وغيرهم إلا أنني لم أجد دراسة مستقلة وافية خاصة بدراسة الصورة البيانية دراسة تطبيقية في صحيح الترمذي بل الذي أجده جهوداً موزعة حول أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - عامة قلما يعرض فيها الباحث إلى حديث يحل فيه صورة بيانية في الأحاديث الواردة في صحيح الترمذي حتى أن ما درس تجده غالباً مأخوذاً من صحيح البخاري ومسلم ولهذا أردت أن أبني بها لبنة عليها تكمل ذلك البناء .
- وقد عمدت في هذه الدراسة إلى منهج جمع بين الفنية والعلمية جامع بينها ضام لها . أما الفنية فقد استدعتها نوعية الدراسة فهي دراسة بلاغية همها الأول إبراز ملامح الجمال والفنية . وهي بعد ذلك تطبيقية محورها أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإن من الإجحاف أن

نتناول أحاديث الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- بتقريرية جافة تنتظمها المدرسية المحدودة محاولاً الخروج عن النطاق التقليدي في دراسة الصورة .

أما المنهج العلمي فتتضمنه طبيعة البحوث الأكاديمية المتخصصة التي تنهض بها خطة علمية محكمة يلتزمها الباحث بحيث يتوجب عليه أن يستوعب الأفكار الكلية للدراسة بمقتضى الخطة ثم يفرغ فيها ما أمكنه التفريغ مع الربط المحكم بين تلك الأفكار ، بحيث يستدعي بعضها بعضاً ولا يستطرد استطراداً ينسى ما قبله . هذا مع ما ينبغي أن تخرج به الدراسة من محصلة علمية تحتوي على نتائج جيدة بها قيمتها وغناؤها .

خطة البحث:

قد انتظمت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول ضمت في أثناءها عشرة مباحث تقفوها خاتمة تفاصيلها كالآتي:

المقدمة:

وتشتمل على أهمية البحث وأسباب اختياري لهذا الموضوع، وأهم الدراسات السابقة، ومنهجي في الدراسة، وخطة البحث، والصعوبات.

التمهيد:

ويشتمل على الآتي:

- أ- أثر القرآن والحديث في اللغة العربية.
- ب- تعريفاً عن الإمام الترمذي وكتابه الجامع.
- ج- تعريف البيان في اللغة والاصطلاح.
- د- مفهوم الصورة البيانية .

الفصول:

الفصل الأول: وعنوانه (الصورة التشبيهية) : وفيه ثلاثة مباحث:-

الأول: دور التشبيه في التصور البياني.

الثاني: التشبيه البسيط.

الثالث: التشبيه المركب.

الفصل الثاني: وعنوانه (الصورة الاستعارية) وفيه ثلاثة مباحث أيضاً:-

الأول: تناول مفهوم الاستعارة وأثرها في إبراز المعنى.

الثاني: الاستعارة المفردة.

الثالث: الاستعارة المركبة (التمثيلية).

الفصل الثالث: وعنوانه (المجاز) وفيه مبحثان:

الأول: الحقيقة والمجاز.

الثاني: المجاز المرسل.

الفصل الرابع: وعنوانه (الصورة الكنائية) وفيه مبحثان:

الأول: مفهوم الكناية ودورها في التصور البياني.

الثاني: أقسام الكناية.

الخاتمة:

وقد دونت فيها أهم ما توصلت إليه الدراسة، وبعض المقترحات .

الصعوبات:

لم تكن رحلة الباحث مع هذه الدراسة خالية من صعوبات واجهتها ومعوقات من هنا وهناك، وقد كانت الدراسة بكر في بابها، على شح المعلومة، وقلة المصادر والمراجع التي تحدثت عن الصورة البيانية في حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي أحاديث الإمام الترمذي - بشكل خاص - أضف إلى ذلك أن الدراسة انتحت منحاً تطبيقياً لا نظرياً، وحسبك بذلك صعوبة ومشقة، ثم كان البحث في مصدر من مصادر الدين العظيم (الحديث الشريف) يضع الباحث أمام مسؤولية علمية

خطيرة، يجعله يتحسس موطأ قدمه في كل خطوة يخطوها . فالحمد لله على ما يسر في هذا الطريق ووفق .

وأخيراً فهذا هو بحثي المتواضع بذلت فيه ما أمكن من الجهد ، واستفرغت ما وسع من الطاقة ، فإذا كان ثمة إحسان وتجويد وتحبير فالحمد لله . ذلك من فضله والله ذو الفضل العظيم ، وإن كان هناك خطأ أو مجاوزة أو تقصير فمردها إلى الغفلة وسوء التقدير ، فإذا رأي أخي شيئاً من ذلك فأحمله بارك الله فيك - على حسن الظن واقتض له بالغ العذر فإن النقص لم يزل مستولياً على جملة البشر والكمال لله وحده سبحانه وتعالى - أرجو أن أكون وفقت في بحثي هذا ولعله ينال القبول والتقدير وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التمهيد :

أثر القرآن والحديث في اللغة العربية :-

اللغة العربية هي واحدة من اللغات الحية والمهمة وهي أقدم اللغات " من الراجح أن اللغة العربية هي أقدم اللغات على الإطلاق وبينت الدراسات الحديثة^(١) وهي التي يتحدث بها العرب في شبه الجزيرة العربية وما جاورها على اختلاف لهجاتهم، ومن المعلوم أن لغة قريش كانت أفصح لهجاتهم، وكان العرب أهل لسن وحجة وكانت البلاغة فخرهم وصناعتهم وقد اختار الله اللغة العربية لكتابه لأنها أفصح اللغات وقال تعالى: (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)^(٢). وقال عز من قائل: (نزل به الروح الأمين على قلبك * لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين).^(٣) وقال تعالى: (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون)^(٤) واللغة العربية هي لغة أهل الجنة كما ورد في الحديث الشريف (أحب العرب لثلاث: لأنني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي)^(٥).

ولهذا نزل القرآن الكريم بهذه اللغة الشريفة وتحدياً للعرب الذين كانوا فرسان هذه اللغة، وقد أثر القرآن الكريم في اللغة العربية أيما تأثير، أول ذلك التأثير، أنه حفظها من الضياع: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)^(٦).

والقرآن هو السر الكامن وراء خلود اللغة العربية لما كان له أثر خالد في حياة الأمة، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم وجمعهم على كلمة واحدة، وبذلك بذلوا أرواحهم من أجله، والقرآن الكريم منحها قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه لولاه، ووهبها الله من المعاني الفياضة والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة،

(١) مجلة التراث العربي، دمشق العدد (٩٠) السنة الثالثة والعشرون يونيو ٢٠٠٣، نور الدين عتر ص ٢٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية (٣).

(٣) الشعراء، الآية (١٩٥).

(٤) سورة الزمر، الآية (٢٨).

(٥) رواه الحاكم في المستدرک، طبعة بيروت، دار المعرفة ٧٨/٤.

(٦) سورة الحجر، الآية (٩).

والأساليب العالية الرفيعة فأصبحت اللغة العربية محط جميع الأنظار، والاقتراب من القرآن الكريم مناط العز والفخر، وغدت اللغة العربية تتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، ومن آثار القرآن الكريم أيضاً في اللغة العربية أنه وحد لهجاتها المختلفة، وخلصها من اللهجات الكثيرة. كما أنها أصبحت لغة عالمية لأن الناس أقبلوا على تعلمها، ولولا القرآن لم يكن للغة العربية هذا الانتشار الواسع وهذه الشهرة وقد اتسع انتشارها حتى تقلقت في الهند والصين وأفغانستان، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والقزويني وغيرهم وغيرهم" (١)

الإمام الترمذي :

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الضرير البوغي الترمذي الحافظ المهور أحد الأئمة الذين يهتدى بهم في علم الحديث (٢).

ولد سنة ٢٠٩هـ في أسرة عربية من تلك الأسر النازحة إلى بلاد ما وراء النهر الغنية في قرية "بوغ" من قرى مدينة "الترمذ" الواقعة على الضفة الشرقية لنهر جيحون (٣).

مال الترمذي إلى دراسة الحديث النبوي وصرف همهته إلى حفظ الحديث الشريف، وتحصيل علومه، أخذ ينتقل ببلاد ما وراء النهر يجمع ويحفظ ويدون ويناقش وينفقه على أيدي أساتذة أجلاء. رحل إلى

(١) القرآن الكريم والدراسات الأدبية، د. نور الدين عتر. طبعة جامعة دمشق سنة ١٩٩٢م، ص ٣٥٩.
(٢) وفيات الأعيان وأنباء الزمان / أبو محمد بن بكر بن خلكان / ج ٤ / ص ٢٧٨ / دار الثقافة بيروت / د. ت.
(٣) انظر منهج الإمام الترمذي في نقض الحديث الشريف / د. كمال الدين عبد الغني موسى. ص ٦٩، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٢م، المكتب الجامع الحديث، الأزاريطة - الإسكندرية.

خراسان والعراق والحجاز يبتغى جمع الآثار النبوية، كما أخذ يطوي المسافات أملاً في السماع من كبار العلماء ، وأنفق سنين عدداً في مدن تلك البقاع في جمع العلم، فتوافر لديه علم غزير. (الترمذي تتلمذ للإمام البخاري، وسار على نهجه، وروى عن مسلم، وأبي داود وعن شيوخهما أيضاً، مكث سنين طويلة في البصرة والكوفة وواسط والري وخراسان والحجاز لخدمة علم الحديث وجمعه)^(١).

أثنى عليه كثير من العلماء قال الحاكم (سمعت عمر بن علك يقول: مات البخاري ولم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد)^(٢) وقال العلامة طاش كبرى زادة: (وهو أحد العلماء الحفاظ الأعلام، وله في الفقه يد صالحة، أخذ الحديث عن جماعه من الأئمة، ولقى الصدر الأول من المشايخ)^(٣).

توفى الإمام الترمذي ليلة الاثنين عشرة خلت من رجب سنة ٢٧٩هـ^(٤).

كتابه الجامع:

(من أشهر مصنفاته كتابه الجامع المشهور بسنن الترمذي وهو من أحسن الكتب، وأكثرها فائدة، أقلها تكرار)^(٥).

يعد جامع الترمذي موسوعة حديثية فقهية مهمة، وينفرد بمميزات لا تتوفر في كتب الحديث الأخرى، ولعل ذلك ما دفع بعض العلماء إلى تفضيل جامع الترمذي على غيره من كتب الحديث (ويعتبر جامع الترمذي أهم منصف قديم أوضح أوجه الخلاف بين المذاهب الفقهية التي كانت سائدة في عصره)^(١)

(١) مقدمة تحفة الأحوزي / المباركفوري. ج/١. ص ٣٤٠، طبعة المكتبة السفلية، المدينة المنورة.

(٢) أبو عيسى الترمذي شيخ الحديث/ الشيخ كامل محمد عويضة. ص ٥٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٣) مفتاح السعادة ومصباح السيادة/ طاش كبرى زادة. ج/٢. ص ١٢٨ ط، دار الكتب الحديثية.

(٤) البداية والنهاية/ ابن كثير، ج ١١ ص ٦٧، الطبعة الأولى ١٩٦٦م مكتبة النصر بالرياض.

(٥) أبو عيسى الترمذي شيخ الحديث / كامل عويضة ص ٧٦.

^١ منهج الترمذي في نقد الحديث/ كمال الدين المرسي. ص ١١٥.

قال المباركفوري عنه: (وله تصانيف كثيرة في هذا الفن الشريف تخدم ذكره، كتابه الجامع يعد من أحسن هذه التصانيف بل هو من بعض الوجوه والحديثيات يعد من أفضل كتب الحديث)^(٢). وقال عنه عالم آخر (له تصانيف كثيرة في علم الحديث وهذا كتابه الصحيح أفضل الكتب وأحسنها ترتيباً، وأقلها تكراراً، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب، ووجوه الاستدلال، وتبين أنواع الحديث، من الصحيح والحسن والغريب وفيه جرح وتعديل، وفي آخره كتاب العلل وقد جمع فيه فوائد لا يخفى قدرها على من وقف عليها)^(٣).

وجاء في تحفة الأحوزي: (والذي عندي أن الأقرب إلى التحقيق والأحرى علي واضح الطريق أن يقال: إن كتاب الترمذي يضمن الحديث مصنفاً على الأبواب وهو علم برأسه، والفقهاء علم ثان، وعلل الحديث ومشتمل على بيان الصحيح من السقيم وما بينهما من المراتب علم ثالث والأسماء والكنى رابع والتعديل والتخريج خامس ومن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدركه ومن أسند عنه في كتابه سادس وتحديد من روى ذلك الحديث سابع، هذه علومه المجملة وأما التفصيلية فمتعددة وبالجمله فمنفعته كثيرة، وفوائده غزيرة)^(٤).

(٢) تحفة الأحوزي / المباركفوري. ج ١ / ص ٣٤٠.

(٣) أبو عيسى الترمذي شيخ الحديث / كامل عويضة ص ٩٩.

(٤) تحفة الأحوزي / المباركفوري. ج ١. ص ٣٥٦.

البيان في اللغة والاصطلاح :

البيان لغة :

البيان في اللغة معناه الظهور والوضوح والإفصاح ، والقدرة على التصرف ، وتصريف الكلام في وجوه شتى ، وفي القاموس المحيط " بان بياناً : أتضح فهو بيّن ، والجمع أبييناء ، وبنته بالكسر ، وبينته وتبينته وأبنته واستبينته ، أوضحته وعرفته فبان وبيّن ، وتبيّن ، وأبان ، واستبان ، كلها لازمة متعدية والتبيان ويفتح مصدر شاذ " (١)

وجاء في أساس البلاغة " بان لي الشيء وتبيّن ، وأبان ، واستبان وبينته وأبنته وتبينته واستبينته ، وجاء ببيان ذلك ، وبينته أي بحجته ، ومن بيان الكرم التواضع ، ورجل بيّن : فصيح ذو بيان : وما أبينه وما رأيت أبين منه ، وقوم أبييناء " (٢).

البيان اصطلاحاً :

البيان في اصطلاح أهل البلاغة هو العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة مع وضوح الدلالة . جاء في معجم البلاغة العربية " والبيان عند البلاغيين : هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد بأن تكون دلالة بعضها أجل من بعض " (٣) .

ويعرّف الجاحظ البيان بقوله : " والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس

^١ القاموس المحيط / الفيروزبادي - دار الكتب اللبنانية - الطبعة الأولى ، سنة ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ ، ص ١١٩٢ .

^٢ أساس البلاغة / الزمخشري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، ص ٨٤ .

^٣ معجم البلاغة العربية / بدوي طيانة ، دار المنارة ، جدة ، دار الرفاعي ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م ، ص ٩٧ .

كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع لها إنما هو العلم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع^(١) وواضح أن البيان لديه بمعناه الشامل أي بمعنى البلاغة والفصاحة والبرهان وروعة التعبير .

ولا يمكن أن نتعدى إمام البلاغة في هذا الموضوع عبد القاهر الجرجاني إذ يعرف البيان قائلاً : " ثم إنك لا ترى علماً أرجع أصلاً ، وأسبق فرعاً وأحلى جني ، وأعذب ورداً ، وأكرم نتاجاً ، وأنور سراجاً من علم البيان . الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشى ، ويصوغ الحلي ، ويلفظ الدر ، وينفث السحر ، ويغذي الشهد ، ويريك بدائع من الزهور ، ويجتنيك الحلو اليانع من الثمر ، والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها ، وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ، ولما استباننت لها يد الدهر صورة ولا استمد السرار بأهلتها ولا استولى الخفاء على جملتها^(٢) .

والبيان عند السكاكي يعرفه بقوله : " هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز في ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه^(٣) .

أما البيان عند الخطيب القزويني والذي ما زال تعريفه هو المتداول إلى يومنا هذا والذي سرنا عليه في هذا البحث هو " علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه^(٤) . ويستحسن ان نتناول الحديث عن مفهوم الصورة البيانية قبل الدخول في الدراسة التطبيقية

(١) البيان والتبيين/ الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٣١٧هـ - ١٩٨٨م ، ٧٦/١ .

(٢) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تصحيح السيد / محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م ، ص ٤ - ٥ .

(٣) مفتاح العلوم / أبو يعقوب السكاكي ، القاهرة ، مصر ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م ، ص ٧٧ .

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني ، تحقيق لجنة من أستاذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، د . ت ، ص ٣٢٦ .

مفهوم الصورة الصورة : لغة

إذا ما رجعنا إلى المعاجم اللغوية نجد أن معاني الصورة لا تخرج عن تخيل الهيئة أو الشكل الذي تتميز به الموجودات على اختلافها وكثرتها لأن لكل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها . فهذا ابن منظور يشير إلى أن (صَوَّرَ) في أسماء الله الحسنى (المصور) وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها ، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة ، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها . ثم يضيف ، يقال : " صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا أي صفته " (١) .

وقال الزمخشري في مادة صور : " وصوره فتصور ، وتصورت الشيء ، ولا أتصور ما أقول ، ومن المجاز : هو يصور معرفة إلى الناس " (٢) .

وفي معجم تاج العروس للزبيدي (١٢٠٥هـ) الصورة : ("الشكل والهيئة والحقيقة والصفة" ، ونقل أن " الصورة ما ينتفش به الإنسان ويتميز بها عن غيره وذلك ضربان : ضرب محسوس يدركه الخاصة والعامة ، بل يدركها الإنسان وكثير من الحيوانات كصورة الإنسان والفرس والحمار ، والثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص بها من العقل والروية والمعاني التي مَيِّزَ بها " (٣) .

وجاء في القاموس المحيط " الصورة بالضم : الشكل .. وقد صوره فتصور ، وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة " أي أن للصورة في اللغة ثلاث دلالات : الشكل والنوع والصفة " (٤) . وقد وردت لذلك شواهد من القرآن الكريم ، منها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ

(١) لسان العرب / ابن منظور ، مادة (صور) .

(٢) أساس البلاغة / للزمخشري ، ص ٤٨٦ .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي ، طبعة الكويت سنة ١٩٦٧م ، ج ١٢ ، ص ٣٥٨ .

(٤) القاموس المحيط / الفيروز ابادي ، مادة صور ، ص ٤٥٢ .

قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١﴾ وجاء في تفسير هذه الآية : " خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه أبداع تصوير وأحسن تقويم سار إليكم جميعاً " (٢) ويفهم من هذا أن التصوير يكون بمعنى التشكيل وأنه يأتي بعد الخلق والإيجاد ، وقد ذكر التصوير في القرآن عدة مرات يعني في كل مرة الشكل (٣) فالتصوير إعطاء الشكل الإنساني المتميز ، أي تمايز هذا المخلوق المكرم عن سائر المخلوقات واتخاذها خصوصية ظاهرة للعيان ، فهو عناية أخرى تلي الخلق .

ولا بد من أن أذكر أن المصور من أسمائه جل وعلا كما قال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ (٤) فإن كلمة (المصور) اسم فاعل من صَوَّرَ ، ومعناها : الموجد على الصفة التي يريد . قال الحافظ بن كثير : " أي : الذي إذا أراد شيئاً ، قال له : كن فيكون ، على الصفة التي يريد والصورة التي يختار ، كقوله تعالى : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (٥) ولهذا قال : " المصور ، أي : الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريد (٦) " وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (٧) جاء في تفسيرها : " يخلقكم في الأرحام كيف يشاء من ذكر وأنثى ، وحسن وقبيح وشقي وسعيد " وفي هذا دلالة على أن التصوير يكون بمعنى الإيجاد على صفة معينة أو نوع معين " (٨) .

فالتصوير وفق المفهوم القرآني " مرحلة تالية لمرحلة الخلق ، وهي مرحلة جمالية كمالية ، وذات وظيفة عضوية ووظيفة روحانية ، وذات طابع جمالي معروف يفرض نفسه ، فالصورة هي الشكل المبتغى للمادة الطينية

(١) سورة الأعراف الآية / ١١ .
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، (بدون تاريخ) ج ٢ ، ص ٣٢٥ .
(٣) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة مصر ، سنة ١٣٧٨ هـ ، ص ٥٢٩ .
(٤) سورة الحشر ، الآية / ٢٤ وتكملتها (هو الخلق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) .
(٥) سورة الانفطار الآية / ٨ .
(٦) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ، دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة السابعة ، سنة ١٤٠٥ هـ ، ج ٦ ، ص ١١٧ .
(٧) سورة آل عمران : الآية / ٦ ، وتكملتها . هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم .
(٨) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤ .

، وهو شكل نوعي بالنسبة إلى سائر المخلوقات ، وكان خلق آدم هو إيجاد الأصل البشري الذي تجلت فيه الفيوضات الربانية ، وقد كُرِّم هذا الأصل بسجود الملائكة له ، ثم كان خلق ذريته وفق الأصل^(١) .
وفي الشعر العربي القديم نقرأ لزهير بن أبي سلمى قوله :
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم^(٢)
حيث جعل الصورة تدل على الشكل المجرد عن القيمة .
ومما سبق ندرك أن الصورة في اللغة تدل على معانٍ منها : الشكل والهيئة والصفة المحسوسة التي يكون عليها الشيء وتميزه عن غيره ، وندرك أيضاً صورة الإنسان الواردة في القرآن الكريم تدل على تشكيله بعد خلقه في هيئته التي أرادها البارئ سبحانه . والله عز وجل خلق الإنسان ثم صوره أي أن مادة الخلق تسبق التصوير ، فالتصوير هو تشكيل تلك المادة المخلوقة .

وأما بيت زهير بن أبي سلمى فتدل على الصورة فيه على العرض الذي لا قيمة له دون الجوهر^(٣) . ومما سبق ندرك أن الصورة بمعناها العام تدل على السمات الحسية المميزة لشيء ما .
الصورة الفنية اصطلاحاً :

نجد لفظة الصورة ترد عند العتابي (ت ٢٢٠هـ) في حديثه عن حسن تأليف الكلام ، قول العتابي : " الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح ، وإنما نراها بعيون القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخراً أو أخرت منها مقدماً ، أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حوّل رأس إلى موضع يد ، أو يد إلى موضع رجل ، لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية "^(٤) . وربما كان هذا القول جديداً على النقد الأدبي عند العرب ، فلم يعهد عن القدامى استعمال

^١ الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف / د. أحمد زكريا ياسوف ، دار المكتبي (بدون تاريخ وبدون طبعة) ، ص ٨٦ .

^٢ شرح المعلقات السبع / الزوزني ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٧م ، ص ١٥٩ .

^٣ الصورة الفنية في الشعر العربي / إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ، ص ٧ .

^٤ كتاب الصناعتين / أبو هلال العسكري بتحقيق محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٧١ ص ٩٧١ .

الصورة في غير المحسوسات ، لكنها في قول العتّابي دلت على اللغة متمثلة في ألفاظها وتراكيبها ، ففساد الصورة هو فساد الألفاظ والتراكيب وسوء نظمها .

ثم يأتي الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بعد ذلك مفصلاً القول فيما تقوم به صناعة الشعر وجاعلاً الشعر جنساً من التصوير ، وصناعة من الصناعات التي تحتاج إلى فن وإبداع .

حيث يرى الجاحظ أن الذي يستطيع تصريف المادة الخام وتشكيلها وإظهارها بمظهر يعكس الافتتان والإبداع ، ويدعو إلى الإعجاب . ذلك هو المبدع الممتاز . والصانع المفتن لا يستغني عن المادة التي يقوم عليها فنه ، وتلك المادة لا فضل فيها لأحد ما دامت قائمة على حالها قبل التشكيل والصياغة ، فـ" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبديوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير " (١) .

وبناءً على ذلك فإن فضل المعنى لا يرجع إلى فضل قائله ، وفضل الكلام ليس من فضل معناه ، وإنما التفضيل يرجع إلى صياغة الكلام وتشكيله والتصرف في ألفاظه وتراكيبه تصرفاً يظهر براعة قائله لأن الشعر نوع من التصوير ، فكما أن المصور يجعل المادة أمامه ثم يصنع منها ما يريد ، فكذلك الشاعر وكما أن المصور يحتاج إلى أدوات خاصة تعينه على أداء عمله ، فكذلك الشاعر وكما أن المصور يسير وفق قواعد في فنه ، فكذلك الشاعر . وكما أن هناك مقاييس لجودة عمل المصور والرسام ، فكذلك الشاعر لعمله مقاييس تحدد جودته .

(١) الحيوان / للجاحظ ١٣١/٣ .

وما دام الشعر جنساً من التصوير فإن وظيفة التصوير - كما يرى الجاحظ - تتحقق في أرقى مستوى عند إقامة الوزن المناسب ، وتخير اللفظة الملائمة للمعنى ، الخفيفة على السمع ، وعند سهولة مخرج الكلام ببعده عن المعازلة والإغراب ، وبصحة الطبع والبعد عن التكلف وبجودة السبك وإحكام النسج^(١) .

وقد استعمل ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) لفظة الصورة بمعنيين : أولهما وجه الشبه في الهيئة والشكل ، حيث قسم ابن طباطبا التشبيه إلى ضروب : منها تشبيه الشيء بالشيء في صورته وهيئته، وقد مثل له بقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنَّابُ والحشفُ البالي
ومعناه ك أن بقايا أجسام الطيور بعد افتراسها تشبه ثمر العناب
والحشف القديم البالي ، وأن الشبه يقع في الصورة والهيئة .
ومن ضروب التشبيه أن يشبه شيء بآخر في لونه وصورته كقول امرئ
القيس في الدرع :

ومسردة السكِّ موضونةٍ تضاءلُ في الطيِّ كالمبرد
فإن الدرع تشبه المبرد في لونها وشكلها .

ومنها: تشبيه شيء بآخر في المعنى لا الصورة ، كتشبيه الكريم بالبحر^(٢)
أما المعنى الآخر للصورة عند ابن طباطبا فقد ورد في حديثه عن
ملاءمة معاني الشعر لمبانيه ، حيث قال : " فواجب على صانع الشعر أن
يصنعه صنعة متقنة ، لطيفة مقبولة حسنة ، مجتلبة لمحبة السامع له
والناظر بعقله إليه .. يسوي أعضائه وزناً ، ويعدل أجزائه تأليفاً ، ويحسن

^١ - البيان والتبيين / للجاحظ ١/٦٥، ٦٧، ٦٩، ١٤٤، ٢٥٤ .

^٢ - عيار الشعر / ابن طباطبا العلوي ، تحقيق : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى - سنة ١٤٠٢هـ ، ص ٣٢ .

صورته إصابة^(١) "يعني أنه على الشاعر أن يحسن الجانب اللفظي من الشعر لي مطابق معناه ، فالصورة هنا هي اللفظ والشكل ، وعلى ذلك لا يخرج مفهوم ابن طباطبا عن إرادة الشكل الظاهر المحسوس ، ولم يصل إلى المدى الذي وصله الجاحظ .

ونجد أن قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧هـ) يسير على خطوات الجاحظ ويقول: " المعاني كلها معروضة للشاعر ، وله أن يتكلم فيها بما أحب وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام ف٥٥ يه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها مثل الخشب للنجارة ، والفضة للصياغة " (٢).

وهكذا جعل قدامة الشعر صورة للمعاني ، والمعاني هي مادة الشعر ، وإبداع الشاعر إنما يتجلى في الشكل واللفظ ، أما المعاني فلا يحظر عليه منها شيء ، إذ لا علاقة لها بجودة الشعر ولا تعييه كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته (٣) .

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فلا يكاد يختلف عن سابقيه فهو يرى أن سبيل التصوير هو الصياغة^(٤) ، غير أنه يحرص على ربط اللفظ بالمعنى ، ويجعل مزية الكلام ترجع إلى نظمه ، والتثام لفظه ومعناه فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وردائه ، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل ، وتلك الصنعة ، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه^(٥) ، أي أن الكلمة المفردة لا

١- عيار الشعر / ابن طباطبا العلوي ، ص ١٢٦ .

٢- نقد الشعر / قدامة بن جعفر ، تحقيق : محمد عيسى منون ، المطبعة الملية بمصر ، ١٩٣٤م ، ص ٦٥ .

٣- نقد الشعر / قدامة بن جعفر ، ص ٦٦ .

٤- دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني ، ص ٣٨٩ .

٥- السابق ، ص ١٩٧ .

قيمة لها قبل أن تدخل في التركيب المؤدي للغرض^(١). وعملية الصياغة هذه هي الصورة عنده فحيثما ذكر كلمة الصورة فإنما المقصود بها النظم أو الصياغة أو ما يحدث من تفاعلات بأصول فنية داخل السياق^(٢).
وننقل بعد ذلك إلى القرن السابع الهجري ، لنلقى ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) يستعمل الصورة بمعنى المحسوس جاعلاً طرف التشبيه إما صورة وإما معنى^(٣).

حيث أطلق كلمة الصورة على خصوص المحسوس ، وقابل بينها وبين المعنى ، فقال وهو يعدد أقسام التشبيه الأربعة : " إما تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾^(٤) وإما تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾^(٥).

وهذا القسم أبلغ الأقسام الأربعة ، لتمثله المعاني الموهومة بالصورة المشاهدة ، وإما تشبيه صورة بمعنى كقول أبي تمام :

وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا فتك الصبابة بالمحب المغرم
فشبه فتكه بالمال وبالعدا وذلك صورة مرئية ، بفتك الصبابة وهو فتك معنوي، وهذا القسم ألطف الأقسام الأربعة ، لأنه نقل صورة إلى غير صورة " ^(٦).

وكان ابن الأثير يعتبر التشبيه التمثيلي في تجسيده المعنويات بالحسيات، وتصوير الماديات بالذهنيات - طرداً وعكساً - هو الصورة المكونة في العمل الأدبي .

١- قضايا النقد الأدبي / بدوي طبانة ، دار المريخ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الرياض ، ص ١٦٧

٢- الصورة البلاغية عد عبد القاهر الجرجاني / أحمد علي دهمان ، دار طلاس ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، ج ١ ، ص ٣٨٩.

٣- المثل السائر / ضياء الدين بن الأثير ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

٤- سورة الصافات ، الآية / ٤٨ : ٤٩ .

٥- سورة النور ، الآية / ٣٩ .

٦- المثل السائر / ابن الأثير ، ج ١ ، ص ٣٩٧

ونخلص بعد هذا العرض العاجل لجملة من آراء البلاغيين والنقاد إلى أن التيار العام في النقد العربي القديم يكاد يحصر المدلول اللفظي للصورة في الجانب المادي المحسوس من الكلام ، واللفظ الذي يقابل المعنى ولا يدل هذا على عدم وجود الصورة في النقد العربي القديم ، فقد درست بعمق ، ولكنها لم تكن تعرف بغير التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية .

أما في النقد الحديث فقد أخذ مصطلح الصورة يتسع في معناه ، وقامت الدراسات النقدية بتناوله وتحديد مفهومه ووظيفته ، وتكاد آراء جميع النقاد والباحثين المحدثين تتفق على أن الصورة أداة فنية لاستيعاب أبعاد الشكل والمضمون وما بينهما من وشائج تجعل الفصل بينهما مستحيلاً^(١) ، وهي بذلك تؤدي دوراً فعالاً في الأدب سواء كان عن طريق التشخيص أو التجسيد أو تراسل الحواس أو التصوير الذي يعد جزءاً مهماً في الصورة ، وعنصراً حيويًا في إثرائها وإبراز ملامحها .

ومنها تعريف للعقاد " أنها نقل الأشياء الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال "^(٢) فهي في نظره خلق جديد يتشكل داخل النفس .

وللزيات تعريف يماثل غير أن فيه تفصيلاً وتدقيقاً وهو قوله : " الصورة خلق المعاني والأفكار المجردة أو الواقع الخارجي من خلال النفس وشكلاً يأتي على نمط خاص وتركيب معين بحيث تجري فيهما - على هذا النسق - الحياة والروح والقوة والحرارة والضوء والظلال "^(٣).

ويعرفها الدكتور عبد القادر القط بقوله " هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص

^١ - الصورة الفنية في المثل القرآني / محمد حسين علي الصغير ، دار الرشيد ، بغداد سنة ١٩٨١م ، ص ٢٧ .

^٢ - ابن الرومي ، حياته من شعره / عباس محمود العقاد (بدون تاريخ وبدون طبعة) ص ٢٥٨ .

^٣ - دفاع عن البلاغة / أحمد حسن الزيات ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، مصر ، ص ٦٢ - ٦٣ .

ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني^(١) .

وقد جاء هذا المفهوم محددًا إطار الصورة الفنية في الشعر بكونها ألفاظاً وعبارات منسقة على وجه معين ، كما أن هذا المفهوم قد حدد الهدف من الصورة ، وهو التعبير عن التجربة الشعرية .

وهناك تعريفات أخرى متقاربة تجعل الصور الفنية هي " الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه "^(٢) .

ولعاني اختار أحد هذه التعريفات ليكون قطب الرحي الذي ستدور عليه معالجاتي للصورة البيانية في الحديث الشريف وهو ما خلص إليه أحد الباحثين بقوله :

" الصورة الفنية في الشعر هي مجموعة الوسائل التعبيرية التي تنجم عنها قيم فنية تنبه المشاعر وتوقظ الوجدان وتلفت نظر المتلقي إلى المعنى ، فيتفاعل معه "^(٣) .

^١ - الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر / عبد القادر القط ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، ص ٤٣٥

^٢ - أصول النقد الأدبي / أحمد الشايب ، ص ٢٤٢ .

^٣ - الصورة الفنية في شعر المجنون / محمود عباس ، ص ٩ (رسالة ماجستير - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر ، توجد بمكتبة الملك فهد - السعودية - الرياض) .

الفصل الأول

الصورة التشبيهية

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دور التشبيه في التصوير البياني .

المبحث الثاني : التشبيه البسيط .

المبحث الثالث : التشبيه المركب .

الفصل الأول

المبحث الأول

دور التشبيه في التصوير البياني :

التشبيه لغة :

التشبيه لغة هو التمثيل ، وهو مصدر مشتق من الفعل شبّه ، يقال شبّهت هذا بهذا تشبيهاً أي مثلته به جاء في أساس البلاغة " شبه ماله شبّه وشبّه وشبّه وشببه ، وفيه شبّه منه ، وقد أشبه أباه وشابهه ، وما أشبهه بأبيه ، وفي الحديث " اللبن يُشَبّه عليه " وتشابه الشيطان واشتبها ، وشبّهته به ، وشبّهته إياه ، واشتبّهت الأمور وتشابهت : التبتت لإشباها بعضها بعضاً^(١) ، وجاء في القاموس المحيط " الشبّه ، بالكسر والتحريك : المثلّ والجمع أشباهٌ ، وشابّهه وأشبهه : ماثله وتشابها واشتبها ، أشبه كل منهما الآخر حتى التبتت وشبّهه إياه ، وشبّهه به تشبيهاً : مثله ، وأمور مشتبّه ومُشبّهة : مشكّلةٌ ، والشبّهة بالضم الالتباس ، والمثلّ " ^(٢).

التشبيه في الاصطلاح :

التشبيه في اصطلاح البلاغيين له أكثر من تعريف ، وهذه التعريفات وإن اختلفت لفظاً فإنها متفقة معنى فيعرفه ابن رشيق بقوله : " التشبيه : صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ، ألا ترى أن قولهم " خدّ كالورد " إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها ، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمامه " ^(٣).

وأبو هلال العسكري يعرفه بقوله : " التشبيه : الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ، ناب منابه أو لم ينب ، وقد

(١) أساس البلاغة / الزمخشري ، ص ٤٣٠ .

(٢) القاموس المحيط / الفيروزبادي ، ص ١٢٥٥ .

(٣) العمدة / ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢م ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه ، وذلك قولك : "زيد شديد كالأسد" ، فهذا القول هو الصواب في العرف وداخل في محمود المبالغة وإن لم يكن زيد في شدته كالأسد على حقيقته " (١).

ويعرّفه الخطيب القزويني بقوله : " التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى " (٢).

وللتشبيه تعريفات أخرى كثيرة لا تختلف في مضمونها عما ذكرنا آنفاً ومن مجموع هذه التعريفات نستطيع أن نخرج للتشبيه بالتعريف التالي : التشبيه بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة تقرّب بين المشبه والمشبه به ، في وجه الشبه .

ب - دور التشبيه في التصوير البياني :

على الرغم من أن دراسة التشبيه مبنية على البحث في أركانه وأقسامه لما لها من دور في تشكيل الصورة ومنحها أبعاداً فنية ، تتفاوت درجاتها في القبول والإعجاب بين الناس ، إلا أننا سنقصر القول هنا على بيان دور التشبيه في التصوير البياني .

فالتشبيه أسلوب من أساليب البيان ، قديم قدم التعبير وذلك لأنه أقرب وسيلة للإيضاح والإبانة ، وأقرب وسيلة لتقريب البعيد من المعاني .

وفائدة التشبيه ، فضلاً عن كونه من أساليب التعبير المهدب على حد قول أرسطو فإنه فيه جمال الأسلوب (١) ، ويثير اللذة والتشويق في النفس (٢) .

(١) كتاب الصناعتين / أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد الجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧١م ، ص ٢٣٩ .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني ، شرح وتعليق وتفتيح د. محمد عبد المنعم خفاجي ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٣) كتاب الشعراء / شكري محمد عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧م ، ص ٣٠ .

ولم يخف على العرب فضل التشبيه ، وقد أوتوا ما أوتوا من القدرة
البيانية على انتقاء خير الأساليب للتعبير ، وألطف الطرق للإبانة . قال
المبرد: " لو قال قائل إن التشبيه هو أكثر كلام العرب لم يبعد " (٣) ويراه
قدامة بن جعفر " من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم
" (٤) ويقول أبو هلال العسكري : " وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من
كل جيل ، ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان
" (٥) ويقول : " التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً " (٦) ورأى ابن
الأثير أن التشبيه يجمع صفات ثلاثة هي : " المبالغة والبيان ، والإيجاز " .
(٧)

يقول ابن رشيق : " التشبيه والاستعارة جميعاً يخرجان الأغمض إلى
الأوضح يقربان البعيد " (٨) ويتناول السكاكي التشبيه في قوله : " الأصل
الأول من علم البيان في الكلام التشبيه " (٩) ويتفق مع من يتقدم حيث
يقول : " فهو الذي إذا مهرت فيه ملكت زمام التدريب في فنون السحر
البياني " (١٠) ، بل هو في جوهره لغة الفهم والإفهام (١١) ، حتى قيل عنه " .
وبه تعرف البلاغة " (١٢) ، لأن هذا الأسلوب من التعبير ، ربما نشأ من
استيعاب صور الواقع واستلهاهم مشاهدته من خلال تفاعل الإنسان المباشر
مع بيئته وارتباطه بها ، ولعلنا لا نبعد إذا قلنا إن التشبيه تراث فني إنساني
مشاع بين الأجناس البشرية جميعاً إذ هو وسيلة بيانية للتعبير لدى الإنسان

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(٢) الكامل / للمبرد ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

(٣) نقد الشعر / قدامة بن جعفر ، ص ٥٨ .

(٤) كتاب الصنائع / أبو هلال العسكري ، ص ٢٣١ .

(٥) السابق ، ص ٢٤٣ .

(٦) المثل السائر / ابن الأثير ، ج ١ ، ص ٣٩٦ .

(٧) مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ١٥٧ .

(٨) السابق ، ص ١٧٧ .

(٩) الصورة البيانية في الشعر العربي قبل الإسلام / إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ، ص ١٨ .

(١٠) إيجاز القرآن / الباقلائي ، ص ٢٠٧ .

(١١) فن التشبيه / علي الجندي ، ج ١ ، ص ٤٨ .

مهما بلغ مقدار ثقافته سواء كان عربياً أم عجمياً ، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري : " والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه . (٢) "

والتشبيه يعد من أصول التصوير البياني ، ومصادر التعبير الفني ، ففيه تتكامل الصورة وتتدافع المشاهد (٣) ، وعليه فقد بات فن التشبيه مقياساً للكشف عن قدرة البليغ وأصالته في فن القول ، لا تتأتى الإجابة أو الإبداع إلا لمن توافرت له أدواته ، من لفظ ومعنى وصياغة ، ومن سمو خيال ورهافة حس ومن براعة في تشكيل صور التشبيه على نحو يبيث فيها الحركة ويمنحها الجمال والتأثير (٤) .

ويتضح مما تقدم أن وظيفة التشبيه في الصورة البيانية تتأتى من دوره في نقل الشعور بأشكال وألوان من نفس إلى نفس ، وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء (٥) .

ولعل من المفيد أن نذكر هنا بأن قيمة التشبيه يكتسبها لا من طرفيه فقط ، ولا من وجه الشبه القائم بينهما ، بقدر استمداها من الموقف الذي يدل عليه السياق ويستدعيه الإحساس الشعوري ، المنبعث خلال الموقف التعبيري.

وقد رأى البلاغيون والنقاد القدامى في التشبيه عملية مقارنة بين طرفين ، مشبه ومشبه به ، لعلاقة تجمع بينهما (١) ، ولما كان كذلك فلا بد له حينئذٍ من أداة تربط طرفيه وإن حذف أحياناً للمبالغة في اقتراب طرفي

(٢) كتاب الصناعتين / العسكري ، ص ٢٤٣ ، أسرار البلاغة / الجرجاني ، ص ٢٣ .

(٣) أصول البيان العربي / د. محمد حسين علي الصغير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ص ٦٤ .

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

(٥) في البلاغة العربية / رجا عبيد ، مكتبة الطليعة ، أسبوط ، ص ١٦٨ .

(١) الحيوان / الجاحظ ، ج ٤ ، ص ٣٧٧ ، النكت / الرماني ، ص ٨١ ، العمدة / ابن رشيق ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

التشبيه من بعضهما ، ومحاولة إيهام المتلقي أن المشبه هو المشبه به ، إلا أن هذا الحذف يقع في اللفظ دون المعنى ، فهي محذوفة لفظاً مقدرة معنى^(٢) ، وهذا يعني أن طرفي التشبيه يبقيان متميزين ، وأن أحدهما غير الآخر ، ومن هنا ظل البلاغيون والنقاد القدامى ينظرون إلى التشبيه على أنه نوع من النيابة ، وقيام أحد طرفيه مقام الآخر^(٣) .

وعلى هذا الأساس فإن الصورة التشبيهية قائمة على اشتراك طرفيها في بضع الصفات ، وكلما كانت هذه الصفات المشتركة أكثر ، كانت الصورة أفضل لأنها تدني بطرفيها إلى الاتحاد والتفاعل^(٤) .

وقد حاول عبد القاهر الجرجاني التمييز بين وضوح الصورة التشبيهية وغموضها على أساس قبولها التأويل ، أو عدم الحاجة إليه ، وصنف التشبيه الواضح إلى تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل ، أو جمع الصورة واللون والحركة والتشبيه من جهة الهيئة بأشكاله المختلفة ، والتشبيه الذي يجمع بين شيئين ففيما يدخل تحت الحواس ، والتشبيه من جهة الغريزة والطباع والأخلاق نحو السخاء ، والكرم واللؤم وغيرها^(١) ، فعبر بذلك عن أنماط الصورة التشبيهية الحسية المختلفة المستمدة إلى الحواس بتباين ضروبها .

وبذلك فقد يلخص الجرجاني مفهوم نقدنا القديم للصورة ودورها في التعبير وتجلى هذا المفهوم في دلالتها على التجسيم وتقديم المعنى تقديماً

(٢) كتاب الصناعتين / العسكري ، ص ٢٤٥ .

(٣) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٣٧٣ النكت ، ص ٨ ، أسرار البلاغة ، ص ٧٨ ، المثل السائر لابن الأثير ، ج ٢ ، ص ٨٣ ، الاتقان للسيوطي ، ج ٣ ، ص ١٢٨ .

(٤) نقد الشعر / قدامة بن جعفر ، ص ١٢٢ ، الإيضاح / القزويني ، ص ٢٨٣ .

(١) أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، دار المدني ، جدة ، ص ٨ - ٢٨ .

حسياً على نحو خاص ، حيث قال : " إنك ترى بها الجماد ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية ، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من جنايا العقول كأنها جسمت حتى رأتها العيون " (٢).

وعلى أي حال إذا جاء التشبيه في أعقاب المعاني أفادها كمالاً وكساها حلة وجمالاً^(٣) ، وقد أفاد منه العرب في كلامهم حتى صار عندهم طريقة معروفة يسلكها الأدباء القدماء والمحدثون ، كما قال العسكري : " فهم كثيراً ما يشبهون الجواد بالبحر والمطر والشجاع بالأسد والحسن بالشمس والقمر ، وصار الناس رموزاً في التشبيه لشهرتهم بخصال كالسموع في الوفاء ، وحاتم في السخاء " (٤) .

فالتشبيه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما واشتراكهما في صفة أو حالة ، أو مجموعة من الصفات والأحوال ، وهذه العلاقة قد تشتد إلى مشابهة حسية أو مشابهة في الحكم والمقتضى الذهني الذي يربط الطرفين المقارنين في الهيئة المادية ، أو في كثير من الصفات المحسوسة^(١) ، قال العسكري : " يصبح تشبيه الشيء بالشيء جملة وإن شابهه من وجه واحد ، مثل قولك : وجهك مثل الشمس ومثل البدر ، وإن لم يكن مثلهما في ضيائهما وعلوهما ولا عظمهما ، وإنما شبهته بهما لمعنى يجمعهما وإياه وهو الحسن ، ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته ، لكان هو هو " (٢) .

(٢) السابق ، ص ٤١ .

(٣) البرهان / الزركشي ، ج ٣ ، ص ٤١٤ .

(٤) كتاب الصناعتين / العسكري ، ص ٢٤٩ .

(١) الصور الفنية في التراث البلاغي ، والنقدي / جابر عصفور ، ص ٢٠٨ .

(٢) كتاب الصناعتين / العسكري ، ص ٢٤٥ .

وبعد هذه الإشارة الوجيزة إلى أسلوب التشبيه وبيان دوره في التصوير البياني ، نتوقف بل نطيل الوقوف ونمعن النظر في دراسة الصورة التشبيهية وبيان دورها في توصيل المعنى الذي قصدته الرسول صلى الله عليه وسلم لتتعرف على ملامح صورته البيانية من خلال حديثه الشريف . ولعل مما يبعث على الإعجاب ، تلك القدرة الفائقة لأسلوب الحديث على التصوير الموحى والتشبيه الواضح ، مما يدل على موهبة إلهية منحها الله تعالى له ، وميزه بها ، لذا نجد حديثه يفيض بمشاهد ذات خيال واقعي خصب وأن وفرة صورته المعبرة لتدل على أنه كاف يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين ، لأن ذلك أدعى إلى أن يفهموا مراده ويتأثروا به .

ولهذا سأأخذ منهجاً تتجلى فيه دقة التصوير البياني لما فيه من فائدة بيانية عظيمة قد لا يؤديها مجرد الالتزام بذكر أدوات التشبيه ووسائله المتاحة وتقسيماته النظرية ، وخلاصة ما أردت ذكره من خلال تلك المقدمة ، هو لجوئي إلى الصور التشبيهية المكثفة التي يكون لها دور فاعل في التصوير البياني ، وأثر واضح في تنوير عقول البشر وإقناعهم بما جاء به الدين الإسلامي الحنيف لرسم منهج الحياة ، ومعرفة كيفية العيش فيها . وسبب الخوض في مثل هذا المنهج هو سعة الموضوع وكثرة أمثله وعلى هذا الأساس سأبحث عن دقة الصورة البيانية في الحديث من خلال تقسيم التشبيه إلى قسمين (التشبيه البسيط والتشبيه المركب) وسوف أفرد لكل منهما مبحثاً خاصاً موضحاً فيهما جماليات الصورة التشبيهية .

المبحث الثاني التشبيه البسيط

ونقصد به ما كان وجه الشبه فيه مفرداً ، سواء أكان مفصلاً أو مجملاً ،
وسواء أكان كامل الأركان أم لم يكن ، والتشبيه بهذا المفهوم يمكن أن
يكون أداة فطرية لإظهار الصورة الذهنية ، لدى المتكلم وإخراجها هذا
المخرج التصويري الذي تتعاون فيه قوى النفس في أحكامه وبث الحياة فيه

وسأبحث في التشبيه البسيط ، ما يتعلق بتشبيه الأفراد والتشبيه
المتعدد ، فضلاً عن ذلك . سأدرس من خلال هذين المحورين ضمناً ما
يتعلق بأدوات التشبيه وأقسامه الأخرى كالتشبيه البليغ والتشبيه الضمني
وغير ذلك مما له أثر فعال في جلاء الصورة البيانية ، وبلورة المعاني
المقصودة في أذهان المخاطبين .

أولاً : تشبيه الأفراد :

ويقصد به تشبيه المفرد بالمفرد ، ويكون وجه الشبه مفرداً أيضاً سواء
أكان مجملاً أو مفصلاً .

(١) ما يدل على التفاعل والاتحاد : التشبيه البليغ :

وفي منهجي هذا سأخص الأحاديث التي اختصرت على ذكر طرفي
التشبيه وما يقيد أحدها إجمالاً أو تفصيلاً ، لما لذلك من دور
فاعل في أظهار الصورة وحصرها ، ومن ثم توضيحها وهذا ما يتضح في
التشبيه البليغ ، الذي يبنى على حذف أداة التشبيه ووجه الشبه ، ومن ذلك

قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن من البيان سحراً " أو " إن بعض
البيان سحراً " (١)

وفي الحديث الشريف قدم صلى الله عليه وسلم المشبه به وقيده ب(من)
التي تقيد التبعية بعد أن أكدته بـ " إنَّ " أداة التوكيد ، فخص قسماً من
البيان بالسحر لما له أثر في نفوس سامعيه ، محذراً من دور بعضه في
إظهار الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل (٢) ، وغير خاف ما
فيه من مراعاة الدقة ، فلم يمثل البيان كله بالسحر وإنما مثل بعضه ،
وترك هذا القسم من غير تخصيص حتى لا ينازعه في تمثيله إياه منازع ،
فجاء التشبيه حقيقة لا تحتل الأخذ والرد .

ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " ألا كلكم راع وكلكم
مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع ، ومسؤول عن رعيته
، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على
بيت بعلها ، وهي مسؤولة عنه ، والعبد راع على مال سيده ، وهو
مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته " (٣).

تناول الرسول في هذا الحديث المسؤولية الجماعية ، فأوضح في أنه
ليس لأحد من أفراد المجتمع أن يتخلى عن هذه المسؤولية ، أو يتصل
منها ، أو يتنكر لها ، فالمجتمعات لا تقوم ولا تستقيم أمورها باتكال أفرادها
بعضهم على بعض وتهاون كل منهم في مسؤوليته ، وإنما تقوم بأداء كل
منهم واجبه وحرصه على مسؤوليته وتفانيه فيها فما منهم من واحد إلا وهو
راع يورد قطيعه موارد الماء والكأ ، ويحميه من كل ما يقصد به أو ينال

(١) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) حكم على آثاره أحادية / محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر
والتوزيع ، الرياض ، ص ٤٥٨ ، رقم الحديث ، ٢٠٢٨ .

(٢) العمدة / ابن رشيقي ، ٢٧/١ .

(٣) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، ص ٣٩٧ ، رقم الحديث ١٧٠٥ .

منه . فإن رعاه حق رعايته كوفئ وأثيب ، وإن تهاون وفشل حوسب وعوقب .

ومن الأحاديث البليغة قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا سجد أحدكم فليعتدل ولا يفتersh ذراعيه افتراش الكلب " (١).

وفي رواية أخرى : " اعتدلوا في السجود ، ولا يبسطن أحدكم ذراعيه في الصلاة بسط الكلب " (٢).

وفي هذا الحديث ينهي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن يفتersh أو يبسط المصلي ذراعيه كما يبسط أو يفتersh الكلب ذراعيه ، والنهي عن هذه الكيفية المكروهة في السجود بواسطة هذه المعروفة فيه تحديد دقيق يفوق أي وصف ، لأن الكلب من الحيوانات التي تعرف وضاعتها والصورة مستوحاة من حياة المخاطين مما يجعل تأثرهم وإدراكهم لها في غاية من الدقة .

ومما جاء أيضاً التشبيه فيه بليغاً قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل : " ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل " (٣).

فقد شبه صلى الله عليه وسلم الصوم بالجنة التي تقي الإنسان مما يصيبه من السهام ونحوها والأصل الصوم كالجنة في الوقاية ، فالصوم وقاية تحمي الصائم من الإثم ، وتصونه من المخالفات الشرعية والمعاصي وتلك المخالفات تكون سبباً في دخول النار ، فكما تحمي الجنة من السهام ، يحمي الصيام من المعاصي ومن النار ، فالصورة تفيد بأن الصيام جنة تمنع صاحبها من المعصية وتقيه العذاب يوم القيامة ، فالرسول صلى الله

(١) سنن الترمذي / ص ٧٨ ، رقم الحديث ٢٧٥ .

(٢) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، ص ٧٨ ، رقم الحديث ٢٧٦ .

(٣) سنن الترمذي / ص ٥٩٠ ، رقم الحديث ٢٦١٦ .

عليه وسلم يشبه لنا الشيء المعنوي بالشيء الحسي لإيضاحه وتقريبه إلى ذهن المخاطبين من الصحابة والناس أجمعين .

ومما جاء كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تجعلوا بيوتكم مقابر وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة ، لا يدخله الشيطان " (١).

فالبيان النبوي الحكيم في هذا الحديث يصور لنا البيت الذي لا يصلى فيه لا تجد فيه الحياة الحقة الكريمة بل إنه موحش مغرق في الوحشة ، ولذا يجب علينا أن يكون بيوتنا عامرة بالصلاة وقراءة القرآن ، وعلى المسلم أن يجعل من صلاته شيئاً يؤديها في البيت كصلاة السنن والنوافل الأخرى ، فإذا امتنع الإنسان عن ذلك فقد حول بيته إلى مقبرة ، وهذه صورة معبرة تضيف على العبادة في البيت من صلاة نوافل وقراءة قرآن ظلاً محبباً مرغوباً ، أما أن تخلو البيوت من العبادة فإنها تصبح قبوراً ، وهذا تشبيه بليغ يحمل معنى التقبيح .

٢- كَأَنَّ :

وكأن هي الأخرى التي تعزز لنا حالة التوحد بين المشبه والمشبه به بالإضافة إلى ما وجدناه في التشبيه البليغ فيما تقدم .

ومما يؤكد هذا الأمر للأداة " كأن " أثرها الفعال في تلاحم أجزاء الصورة التشبيهية لأنها تلقى خصائص الأشياء المضادة، لتجعل الطرفين ذوي خصصية واحدة وهي في الغالب خصصية المشبه به (٢).

وقد شغلت " كأن " حيزاً لا بأس به في تشبيهات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولقد كان لها دور كبير في التصوير البياني ، وفي رسالته

(١) سنن الترمذي / ص ٦٤٣ ، رقم الحديث ٢٨٧٧ .
(٢) الجنس الداني في حروف المعاني / حسين قاسم المرادي ، ص ٥١٨ .

التعليمية ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور " (١) .

ففي قوله صلى الله عليه وسلم : " كأنك غريب ، تشبيه مرسل / مجمل ، فهو مرسل لأنه ذكرت فيه أداة التشبيه وهي " كأن " ومجمل لأن وجه الشبه محذوف ، والتقدير كن كالغريب في عدم الاستقرار والتفكير في المكث وطول الإقامة ، وعابر السبيل والغريب لا يتعلقان في دار الغربة بما يتقلهما عن السفر أو يعوقهما عن المضي من المآرب الحسية والمعنوية وليس لهما أهداف في أكثر مما يبلغهما المحل من زاد ومركب لأن في الزيادة زيادة حمولة وثقل عليهما ، وإنما يحرص على ذلك المقيم وهذه صورة تترك خيال ابن عمر وخيالنا يصور لنا أوضاع الغريب وعابر السبيل يميز وقوفنا من الدنيا على نوافذ الآمال ، وأبواب المطاعم فتحد من طموحنا الشارد أو توسعنا المهلك ، لأن الدنيا فانية لا قرار فيها ، وإنما الخلود والقرار في دار القرار الدار الباقية هي الدار الآخرة التي فيها تتم السعادة الأبدية التي لا يحظى بها إنسان إلا عندما يتزود بزاد التقوى .

وتتجلى لنا دقة التشبيه أيضاً في قوله صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه في حديث طويل يتضمن سؤال جبريل عليه السلام فقال من جملته ما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك " (٢) .

فقد بين ابن الأثير فضل هذا الحديث عندما قال : كأنك تراه من جوامع الكلم لأنه ينوب مناب كلام كثير ، كأنه قال تعبد الله مخلصاً في بيتك واقفاً

(١) سنن الترمذي / ص ٥٢٧ ، رقم الحديث ٢٣٣٣ .

(٢) سنن الترمذي ، ص ٥٨٨ ، رقم الحديث ٢٦١٠ .

عند أدب الطاعة من الخضوع والخشوع أخذاً أهمية الحذر بكل ما يجد إليه السبيل (١).

ومما جاء مجسداً الموت قوله صلى الله عليه وسلم : " يوتى بالموت ، كأنه كبش أملح حتى يقف على السور بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة فيشرئبون ، ويقال يا أهل النار فيشرئبون ، فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموت ، فيضجع فيذبح... " (٢).

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجسداً وشارحاً قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ (٣) . فكيف تكون الفرحة لأهل الجنة ، وكيف تكون الحسرة لأهل النار أنظر هذا التجسيد للموت وصورته ووضوح الرؤية في شرح هذا المعنى ، نسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة .

(ب) المقارنة في التشبيه : الكاف :

وإذا ما تركنا الحالات والوسائل التي تدعو إلى التوحيد ، ومحاولة إلغاء الحدود بين المشبه والمشبه به فيما تقوم من صور التشبيه البليغ والأداة (كأن) حان لنا الوقت أن ننقل إلى الأدوات والوسائل التي تدعو إلى الكشف والتوضيح عن طريق المقارنات والموازنات بين المشبه والمشبه به ففي حالة المقارنة ضمن إطار التركيب يكاد المشبه يكون منسياً قال العلوي : " ولا بد أن يكون المشبه به أعلى حالاً من المشبه لتحصل المبالغة هناك وتختلف تلك الأوصاف الجامعة " (٤)

ولعل الكاف من أشهر تلك الأدوات التي ملأت حيزاً كبيراً من التشبيهات في الحديث النبوي لسهولة وقربها من الفطرة والسليقة ، وهي

(١) المثل السائر / لابن الأثير ، ٢/ ٣٤٠ .

(٢) سنن الترمذي ، ص ٧٠٩ ، رقم الحديث ٣١٥٦ .

(٣) سورة مريم / الآية ٣٩ .

(٤) الطراز / يحيى بن حمزة العلوي ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

أقرب إلى التشبيهات القصيرة ، ويليها المشبه به عادة ، وهي تفيد معنى اشتراك الطرفين في حكم من الأحكام أو صفة من الصفات فضلاً عن دورها الفاعل في تشكيل الصورة الجزئية التي احتلت مساحة كبيرة في الحديث التي مثلت ركائز الإبداع التصويري المعبر عن المعاني السامية التي لا تبعد عن أداء دورها فتتبلور صورة كلية جامعة إذا ما أخذنا نصاً كاملاً لحديث ما .

ومتى نقف عند هذه الأداة في سياق دراسة الصورة البيانية الجزئية في الحديث من خلال فن التشبيه نتساءل عنها إذا كانت هذه الأداة تنهض بمثل ما نهضت به كأن من شدة الأواصر الوثيقة بين أجزاء الصورة أو أن للكاف وظيفة أخرى تنتهي عند حد معين لا تتجاوزه ، هذا ما يوضحه هذا الحديث الذي يحتوي على الكاف ، كما أحتوى على كأن ، يوضح فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وقع الإحساس بالذنب على المؤمن والفاجر قال : " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه نال به هكذا فطار " (١).

وقد شرح الرافعي هذا الحديث مبيناً دقة التعبير النبوي الذي كان له الأثر الفعال في جمال الصورة حيث قال : " وهذا كلام أبلغ ما أنت واحد من تفسيره، تلك النفس المؤمنة بإحساسها الرفيع ، كأنه حاسة من النور كبت في شعورها، وتلك النفس الفاجرة بإحساسها الغليظ حاسة من التراب ويكاد المؤمن الذي يسمع هذا الوصف يذكره ذنوبه أن يحس بحركة جبل يهم أن ينقلع فيميل عليه ، أما الفاجر فيسمعه يذكره ذنوبه ، فإذا هي حياله نقط سود تمر من الذباب ليس منه إلا الحس به كما يحس من يضرب

(١) سنن الترمذي ، ص ٥٦٣ ، رقم الحديث ٢٤٩٧ .

على أنفه برجل ذبابة ، وجعل الذباب يمر على أنفه دون عينه أو فمه ، وذلك منتهى الجمال في التصوير ، لأن الذبابات إذا وقعت على الفم أو العين ثبت وألح ، وإذا وقع على قسبة الأنف لم يكن يقف ومر مروره " (١) ومما تقدم يتضح لنا دقة استعمال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأدوات التشبيه فقد استعمل كأن في المكان الذي يتطلب القوة في التشبيه المبالغة فيه تلك المبالغة المناسبة لوقع أثر الذنب على نفس المؤمن ، وشدة امتعاضه عنه فضلاً عن استعماله الكاف مع الفاجر ، وسهولة تقبله الذنب وعدم اكترائه له.

وهكذا فكالكاف تتركز وظيفتها في التقريب ما بين الطرفين بحث يستعمل الطرف الأول قوة الوصف المشترك " وجه الشبه " وهذا يعني أن المشبه قد يرتقي إلى مصاف المشبه به ، ويصبح نداً له ، والخصائص المشتركة ما هي إلا جسور التآلف والتداخل الذي يبعث في النفس إعجاباً بالموقف .

فالكاف أصبحت أداة مقارنة أو موازنة من خصائصها أن تجعل البعيد قريباً ، والأدنى منزلة مرتفعاً إلى منزلة الأعلى والأضعف شامناً يقوى حين يكافأ بالطرف الثاني ويوازيه ومن ذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - محذراً المسلمين كافة إلى الابتعاد عن الفتن وعدم المشاركة فيها قال: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا" (٢) ، وجاء برواية أخرى " تكون بين يدي الساعة فتنة كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا" (١)

(١) وحي القلم / الرافي ، ج ٣ ، ص ٢٥ - ٢٦ .
(٢) سنن الترمذي ، ص ٤٩٧ ، رقم الحديث ٢١٩٥ .
(٣) سنن الترمذي ، ص ٤٩٧ ، رقم الحديث ٢١٩٧ .

يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البعد عن المشاركة في الفتن والاعتزال بعيداً عنها ما استطاع المرء إلى ذلك سبيلاً وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الفتنة المتمثلة في المصائب والنكبات والبلايا التي تنزل على الناس في آخر الزمان فتصيبها بقطع الليل ، وهنا تتأمل مدى دقة الرسول صلى الله عليه وسلم في تشبيهاته ومنها هذا التشبيه عندما قال كقطع الليل المظلم لأن هذه العبارة تعني أن هذه الفتنة متواصلة كالقطعة الواحدة لا تكاد تجد فيها فاصلاً بين فتنة وأخرى ، وشبهها بالليل لأنها تحيط بالإنسان أينما ذهب ، إنها كالليل الذي يدرك المرء لا محالة حيثما هرب وأنى اتجه كما نلاحظ أن التشبيه هنا جاء مرسلأ مفصلاً وهذا التفصيل في ذكر وجه الشبه ، وهو الظلمة التي زادت في دقة الصورة وجلائها لأن صلى الله عليه وسلم حدد الظلمة التي تعني ما تعنيه من حالات الضياع والحيرة التي تنتاب المسلمين فيما إذا ما وقعوا فيها .

ومن الصورة التي أسهمت الكاف في تشكيلها صورة دلت على قرب يوم القيامة في حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث استخدم المقارنة والموازنة بواسطتها فقال : " بعثت أنا والساعة كهاتين " وأشار بالسبابة والوسطى^(٢) .

والحديث تصوير بقرب الساعة ويعتمد على الإشارة هذا النوع كان رسول الله يستخدمه لأنه يشد السامعين إلى المتكلم ويقرب للأذهان البعيد ويمثل المعنى المجرد بصورة حسية فالرسول صلى الله عليه وسلم والساعة متلازمان متجاوران كما تلازم السبابة الوسطى وكما تجاورها ومنها أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين "^(١) وأشار بأصبعين يعني السبابة والوسطى .

(٢) سنن الترمذي ، ص ٥٠٠+٥٠١ رقم الحديث ٢٢١٤ .
(١) سنن الترمذي ، ص ٤٣٨ ، رقم الحديث ١٩١٨ .

وجاء استخدام الكاف للموازنة والمقارنة أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم
: " العامل على الصدقة بالحق ، كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى
بيته " (٢)

فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم مرغباً للعمل في مجال جمع الزكاة
من المسلمين لأنها تعود على الفقراء منهم بالخير والعون ، لأن لا بد
للزكاة من عاملين عليها فيصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - العامل
على الصدقة بحق كالمجاهد في سبيل الله ، إذا لم يظلم الناس الذين يأخذ
منهم الزكاة ، ولم يحاربهم بل كان يعاملهم بالعدل التام ، ولم يقبل رشوة
ولم يختلس شيئاً من حق الفقير والعامل على الأمور المالية يتعرض
لإغراءات شديدة والشيطان والنفوس وقرناء السوء يزينون له في كثير من
الأحيان الجريمة ويهونون له الانزلاق ، فإذا عمل بالحق ولم يستجب لشيء
من تلك الإغراءات كان كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته، ومعلوم
كم هو أجر المجاهد في سبيل الله ، ومن التناسق العجيب في قوله صلى
الله عليه وسلم والمشابهة المفيدة بين طرفي الصورة ، فمجاهدة النفس في
قبولها المال الكثير الحرام ولا سيما إذا كان هذا العامل محتاجاً يشبه
بمجاهدة الكفار والمال قرين النفس.

ومما جاء أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " الدال على الخير
كفاعله " (٣) شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كالذي
يقوم بفعل الخير إغراء للناس بأن يكونوا خياراً هداة إلى الخير لا دعاة شر
والدال على الخير محب للخير كفاعله وإلا لما كان هادياً إليه .

وفيما يخص قراءة القرآن وضرورة مواظبة المسلم على تلاوته ، وعدم
هجره ، لأنه دستور المسلمين في دينهم ودنياهم قال صلى الله عليه وسلم:

(٢) سنن الترمذي ، ص ١٦٣ ، رقم الحديث ٦٤٥ .
(٣) سنن الترمذي ، ص ٦٠١ ، رقم الحديث ٢٦٧٠ .

"إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب"^(١) فقرة القرآن تشبه الريح الطيب ، أما الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن فهو كالبيت الخرب الذي يخلو من هذه الريح الطيبة ، ويعني بذلك عدم حفظ الإنسان لشيء من آيات القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم يهول الصورة أمام أعين المسلمين لما للبيت الخرب من هيئة ماثلة لا تسرهم ، وذلك من قبيل التأثير النفسي الذي يدعو إلى المقارنة بين صورتين فيهما الترغيب والترهيب .

ومما يدل على وجوب مؤازرة المؤمن لإخوانه المؤمنين قوله صلى الله عليه وسلم: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" وهذا يدل على وجوب تعاون المسلمين والتوحد فيما بينهم وإلا أصبحوا ضعافاً يسهل تفككهم كما يتفكك وينهدم البنيان .

- مثل :

ومن الأدوات الأخرى التي تفيد المقارنة والموازنة الأداة مثل ، وهي من الأسماء ولا تستعمل إلا في صفة لها أهمية متميزة ومكانه ظاهرة بينه لذا نجد الرسول- صلى الله عليه وسلم- يستعملها مقرونة بأشياء مادية موغلة في الحس والمشاهدة كقوله صلى الله عليه وسلم: "ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبغه في اليم فلينظر بماذا يرجع"^(١) فيؤكد صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إن شأن الدنيا ضئيل ، ما هي بالنسبة للآخرة إلا مثل ما يعلق بالسبابة ، إذا أدخلت بحر فالدنيا وما فيها لا تكاد تذكر أمام الآخرة ، كما أن كمية الماء العالقة بالسبابة ليست بشيء إذا ما قورنت بالبحر العظيم .

(١) سنن الترمذي ، ص ٦٥١ ، رقم الحديث ٢٩١٣ .
(١) سنن الترمذي ، ص ٥٢٥ ، رقم الحديث ٢٣٢٣ .

ومنه كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد ، وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاثة مثل الريدة" (٢).

وفي هذا الحديث الشريف يعتمد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسلوب التصوير الذي يوضع فيه نوع العقاب الذي سيلقيه الكافر يوم القيامة ، مبيناً ذلك بوسائل محسوسة ومشاهده فخرسه مثل جبل أحد ، وهذه الصورة توضح ما سيلقيه الكافر من العذاب والثقل لأن الذي يضع في فمه حصاة صغيرة يضيق بها ذراعاً إن طال وضعها ، فكيف يكون الحال لو أن خرسه تحول إلى جبل فيصور صلى الله عليه وسلم مدى قبح وشناعة الكافر التي ليس بعدها شناعة ، لأننا إذا رأينا رجلاً أسنانه كبيرة شيئاً ما عددنا هذا قبيح، وليس خرسه هو الكبير فقط بل فخذه كذلك مثل البيضاء وهو جبل مثل أحد ومقعده كذلك فهذه صورة تتجلى فيها دقة التشبيه وحكمته وكلما كبرت المساحة المعرضة للعذاب زاد الإحساس به وقد شبه صلى الله عليه وسلم أعضاء الكافر التي تتضخم في يوم القيامة بمواضع يعرفها المخاطبون ، فجبل أحد والبيضاء والريدة كل هذه مواضع يعرفونها والتصوير بها يزيد من شناعة العقاب بضخامتها حتى تبدو هذه الصورة رسماً خيالياً بالغ التأثير .

ومن صور الترغيب التي استعملت فيها مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله أو قال عامله" (١) وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة

(٢) سنن الترمذي ، ص ٥٨١ ، رقم الحديث ٢٥٧٨ .
(١) سنن الترمذي ، ص ٦٠١ + ٦٠٢ ، حديث رقم ٢٦٧١ .

كان عليه من الإثم مثل أثم من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً " (٢).

ويلاحظ من الحديثين أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو فيها إلى الخير عامة ، ومن دعوة إلى الهدى ويوازن صلى الله عليه وسلم بين الداعي والمدعو في مقدار ما يحملان من الأجر والثواب ابتغاء مرضاة الله تعالى ورحمته ، كما نلاحظ دور الأداة مثل في ترسيخ هذا المعنى في نفوس المخاطبين ونحس في أدائها لهذا المعنى بنوع من الرزانة والثقل الذي يوفر القناعة التامة ، لأن الله يجزي فاعل الخير لا محالة، وعلى العكس من ذلك من يدعو إلى ضلالة (٣) .

(ج) صيغة أفعال التفضيل المقرونة بـ (من) (أفعل من):

ويلحق بالتشبية البسيط الذي يقع ضمن تشبيه الأفراد ما يفيد المقارنة والموازنة الذي جاء منه على "أفعل من"، فالحياة مليئة بالأشياء المتماثلة، وهذه الأشياء على الرغم من تماثلها تتباين وتتفاوت فيما تماثلت فيه حتى أن منها ما يكون قد بلغ الغاية القصوى، والنهاية التي ما بعدها نهاية في صفة من الصفات (٤).

والتشبيه عقد مماثلة بين الأشياء وإلحاق المشبه بالمشبه به، فيما اشتهرت به من صفات، فغاية ما يراد للحلو من الأشياء أن يكون كالعسل في الحلاوة، وغاية ما يراد للشجاع أن يكون كالأسد جرأة، غير أن الميل إلى المبالغة والرغبة فيها جعلت الناس لا يكتفون بهذا الإلحاق، وتلك المماثلة، وإنما عمدوا في كثير من الأحيان إلى إظهار المشبه، وكأنه نصيبه من الصفة المشتركة على المشبه به في الصفة التي بلغ المشبه به

(٢) سنن الترمذي، ص ٦٠٢، حديث رقم ٢٦٧٤ .

(٣) أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ١١١.

(٤) الأمثال في الحديث النبوي الشريف، محمد جابر فياض، ص ١٨٩.

منها الغاية، فقالوا: أحلى من العسل، وأجراً من الأسد وهكذا.. حتى صيغت هذه الصفات وما يماثلها في العربية على صيغة (أفعل) التفضيل كوسيلة لأداء التشبيه وذلك لما عرفوه عما يتضمنه أسلوب التفضيل من مغزى تشبيهي متتام ومتصاعد يربو على المعنى المألوف الذي ينطوي عليه أسلوب التشبيه الاعتيادي حتى عده بعضهم من أدوات التشبيه المألوفة^(١). ولكن ليس كل تفضيل تشبيهاً، كما أنه ليس كل تشبيه تفضيلاً، لأن المفاضلة تجري بين الأشياء المتشابهة والمختلفة، وإن جاءت على صيغة (أفعل من) ذاتها، فضلاً عن المحلاة بالألف واللام أو المضافة. فقولنا الإيمان أفضل من الكفر، لا يعني تشابه الكفر والإيمان في الفضل، واشتراكهما فيه، فالفضل للإيمان دون الكفر، فالتشبيه البسيط الذي يأتي على (أفعل من) خاصة يما تناهي بين التشبيهات المصوغة عليها، ويلخص محمد جابر فياض ميزات هذه الصيغة وخصائصها التي تجعلها صالحة للمقارنة والموازنة في التشبيه فيقول:

- ١- أن تفيد معنى التشبيه.
- ٢- يكون المشبه به فيها محسوساً، بلغ الغاية في الصفة التي مثل بها.
- ٣- يكون نصيب المشبه في الحقيقة أقل من نصيب المشبه به في الصفة المشتركة.
- ٤- يرغب فيها أن نصيب المشبه أكثر من نصيب المشبه به في الصفة التي بلغ فيها الغاية^(١).

(١) - عروس الأقبال للسبكي ٣٠/٣٩٢، فن التشبيه للجندي ٢٠٣/١.

١ - الأمثال في الحديث، / محمد جابر فياض، ص ١٩٢.

وقد وردت أحاديث كثيرة على هذه الصيغة (أفعل من) ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أوليكنن أهون من الجعل يدهده الخراء بأنفه)^(١) والجعل مثل الخنفساء ، يكور كمية من الروث، ويدفعها حتى يصل إلى بيته فيدفنها هناك من يدهده الجعل بمنخريه. هو المشبه به، وهو النهاية في الهوان ومما لا خير فيه، والحديث عن آبائهم الذين ماتوا في الجاهلية، وأريد لهم أن يكونوا أهون من هذا الذي شبهوا به. وأقل خيراً منه إن كان فيه شيء من خير، ومعلوم أنه لا خير فيه، فهو المشبه به، وكان هذا الحديث لغرض بلاغي ألا وهو التنفير، فليس هناك من لا تعاف نفسه مما يدهده الجعل، فإذا ما عافته النفوس وتعززت منه أخبرت أنه خير من الذين ماتوا في الجاهلية^(٣).

ومما أورده الترمذي من هذه الصيغة قوله صلى الله عليه وسلم: (إن موضع سوطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها، أقرؤوا إن شئتم: "فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)^(٤).

وفي هذا الحديث يوضح تفضيل الجنة على الحياة الدنيا فأقل شيء في الجنة أفضل من الحياة الدنيا وما فيها.

وأيضاً جاء قوله صلى الله عليه وسلم في فرح الله سبحانه وتعالى بتوبة التائب من عباده (الله أفرح بتوبة أحدكم من رجل بأرض دوية مهلكة معه راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه وما يصلحه فأضلها فجزع في طلبها حتى إذا أدركه الموت قال: أرجع إلى مكاني الذي أضللتها فيه فأموت

^١ - سنن الترمذي حديث رقم ٣٩٥٥ ص ٨٨٥

^(٣) الامثال في الحديث /محمد جابر فياض ص ٢٢١.

^(٤) سنن الترمذي ، حديث رقم ٣٠١٣. ص ٦٧٤ والآية الواردة في الحديث من سورة آل عمران: ١٨٥

فيه، فرجع إلى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وما يصلحه^(١).

وقد ورد في رواية أخرى قوله صلى الله عليه وسلم: (الله أفرح بتوبة أحدكم بضالته إذا وجدها)^(٢).

فانظر إلى أي حد تكون فرحة الله بتوبة عبده فقد صور صلى الله عليه وسلم حالة الفرح الشديد بعد اليأس فإن الله يحب التوابين ويفرح بتوبتهم أشد من فرح هذا الرجل في هذا الموقف.

وأيضاً جاء قوله صلى الله عليه وسلم محذراً من المرور بين يدي المصلي: (لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه)^(٣). وفي رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم قال: (لأن يقف أحدكم مئة عام خيراً له من أن يمر بين يدي أخيه وهو يصلي)^(٤).

ومما جاء في فضل الوتر قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم، الوتر، جعله الله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر)^(٥).

وجاء عن رسول الله في فضل الجهاد في سبيل الله: (لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)^(٦).

(١) سنن الترمذي، حديث رقم ٢٤٩٨، ص ٥٦٣.

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم ٣٥٣٨، ص ٨٠٣.

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم ٣٣٦، ص ٩٣.

(٤) نفسه، ص ٩٣.

(٥) سنن الترمذي، حديث رقم ٤٥٢، ص ١٢١.

(٦) سنن الترمذي، حديث رقم ١٦٥١، ص ٣٨٨.

ومما ورد في ثواب الشهيد قوله صلى الله عليه وسلم: (الشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفرع الأكبر، ويضع في رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويتزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه)^(٢).

انظر إلى قوله: (الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها).

ومما جاء في فضل المرابط قوله صلى الله عليه وسلم: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولروحة يروحها العبد في سبيل الله أو لغدوة خير من الدنيا وما فيها)^(٣).

فأسلوب الموازنة كثير الورود في الحديث النبوي، وقد جمع هذا الأسلوب بين الامتاع والإقتناع، أما الامتاع فلأن السامع والقارئ يكونان أمام صورة تربط بين شيء معروف جديد يعرفانه وأن الإقناع فلأن الموازنة تجعل الإنسان يأخذ بالرأي يدل عليه الدليل.

التشبيه الضمني :

وهذا التشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب ، وهذا الضرب من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن وبيان ذلك أن الأديب قد

(٢) سنن الترمذي ، حديث رقم ١٦٦٣ ، ص ٣٩٠.

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم ١٦٦٤ ، ص ٣٩٠.

يلجأ عند التعبير عن بعض أفكاره إلى أسلوب يوحى بالتشبيه من غير أن يصرح به في صورة من صورته المعروفة .

" ومن بواعث ذلك التفنن في أساليب التعبير والتنوع إلى الابتكار والتجديد ، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبه ، والرغبة في إخفاء معالم التشبيه ، لأنه كلما خفي ودق كان أبلغ في النفس (١) .

وقد عبّر عبد القاهر الجرجاني عن هذه الظاهرة خير تعبير بقوله :
" إن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق له ، ومناه الحنين نحوه ، كان نيله أحلى ، وبالمرة أولى ، فكان موقعه في النفس أجل وألطف ، وكانت به أحن وأشغف " (٢) .

ومما جاء في التشبيه الضمني قوله صلى الله عليه وسلم : " أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، ضرب هذا فيقعد فيقتص هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقبض ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم ، فطرح عليه ثم طرح في النار " (٣) .

ففي هذا الحديث تشبيه ضمني فيؤكد الرسول الكريم إن المفلس من الدينار والمتاع أفلس منه ذلك الذي تنفذ حسناته بسبب أعماله السيئة في الدنيا ، فالذي لم يرق حدود الله في صلاته وصيامه وزكاته أفلس من المفلس من الدرهم والدينار لأنه تنكر للعقيدة الدينية السمحة المبنية على حسن

^١ - علم البيان/ د. محمد عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ، ص ١٠٢ .

^٢ - أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجاني ، ص ١١٠ .

^٣ - سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٤١٨ ، ص ٥٤٥ .

المعاملة فجاء قوله صلى الله عليه وسلم ليؤكد هذه الحقيقة عن طريق الحوار لتشويقهم عن طريق الاستفهام أولاً ويقرر المعنى في نفوس مخاطبيه ولا ينسوه أبداً ، وهذه إحدى الوسائل التعليمية التي كان يستعملها الرسول الكريم فيقرر أن الإفلاس الحقيقي هو حالة الرجل الذي أضع حسناته يوم القيامة في ذلك اليوم الذي لا يتاح للمرء أن يكسب شيئاً ويطرح في النار ، وهذا التصوير الدقيق يؤدي غرضاً دينياً هو الامتناع عن الظلم في الدنيا ، حتى لا يكون مفلساً يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وفي هذا التشبيه تلمح طرفيه من أركان التشبيه وهو المشبه والمشبه به ضمناً هي حال المفلس من الحسنات يوم القيامة بحال المفلس من الدرهم والدينار .

التشبيه المقلوب :

التشبيه المقلوب هو جعل المشبه مشبهاً به ، بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر وأبو الفتح عثمان بن جني في كتابه " الخصائص " يسمي هذا النوع من التشبيه " غلبة الفروع على الأصول بقول : " هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب ، كما تجده في معاني الإعراب ، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة"^(١).

ومما يمكن أن يكون مثلاً لهذا التشبيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن حدثوني ما هي ؟ قال عبد الله : فوق الناس في شجر البوادي ، فوق في نفس أنها النخلة: فقال النبي - صلى الله عليه وسلم : " هي النخلة " ^(٢).

(١) كتاب الخصائص / ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر ، ١٩٥٣م ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .
(٢) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٨٦٧ ، ص ٦٤١ .

ففي هذا الحديث الشريف يبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن المؤمن عظيم النفع لكل من يلقاه فلا يعاشره أحد ، ولا يجاوره إنسان ، ولا يعامله مخلوق إلا انتفع منه ويمثل الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن بالنخلة فكل شيء فيها نافع : ثمرها ونواها وسعفها وجذعها وحطبها ، وكل شيء فيها ، فاستخدم التشبيه المقلوب مبالغة لتلك الصورة التي تميّز بها ، وقد ساق الرسول الكريم هذا التشبيه في إطار حوار يشدّ السامعين . فسأل أصحابه عن الشجرة التي تشبه المؤمن فعكس الصورة عندما قال : " إنها مثل المؤمن " مبالغة في الصورة الحقيقية التي تميز المؤمن عن غيره ، وبذلك نجد التصوير اعتمد على أمر يعرفه المخاطبين أتم معرفة وكأنه قال : حال المسلم العجيب الشأن كحال النخلة في وجوه النفع والفائدة فالتشبيه هنا مقلوب كما هو بيّن .

ومما مر علينا في التشبيه الضمني قوله صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيقعد فيقتصّ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإنه فنيت حسناته قبل أن يقبض ما عليه من الخطايا ، أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار " (1).

وفي هذا الحديث تشبيه ضمني كما وضعنا سابقاً ، وقد جاء التشبيه هنا مقلوباً مبالغة في إفلاس من لم يقيم حدود الله في عبادته ومعاملته لأن الدين المعاملة ويشير صلى الله عليه في هذه الصورة أن الإفلاس الحقيقي هو حالة الرجل الذي أضاع حسناته يوم القيامة ، فقد تكون المظالم قوة

(1) سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٤١٨ ، ص ٥٤٥ .

يتمكن بها أن يفعل ما يشاء ولكن عليه أن يتذكر أنه سيجرد من هذه القوة يوم القيامة لأن القوة الإلهية لن تدع مظلوماً في ذلك اليوم حتى تنتصر له من ظالمه .

ثانياً : التشبيه المتعدد :

ونعني به أن يتعدد فيه الطرفان أو أحدهما وله عدة صور منها :

التشبيه الفروق :

وهو ما أتى فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر وهكذا ، وقد سمي مفروقاً لأنه فرق بين المشبهات بالمشبهات بها ، وفرق بين المشبهات بها بالمشبهات .

وقد جاء هذا النوع في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - من ذلك في بيانه لمعاذ بن جبل فضل الجهاد قائلاً : " ألا أخبرك برأس الأمر كله ، وعموده ، وذروة سنامه فقال معاذ : قلت بلى يا رسول الله قال : " رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد " (٢) .

وحديث معاذ هذا جزء من حديث طويل بدأه معاذ بسؤال النبي - صلى الله عليه وسلم - عن عمل يدخله الجنة ، ويباعده عن النار ، وأجابه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن هذا العمل هو تطبيق أركان الإسلام الخمسة ، ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير ؟ مذكر له منها الصوم والصدقة ، وصلاة الليل ، ثم كان هذا الجزء المتعلق بالجهاد ، وينتهي الحديث بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال له : " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه وقال : " كفّ عليك هذا " .

(٢) سنن الترمذي/ محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٦١٦ ، ص ٥٩٠ .

ولقد ذكرنا كل هذا لنبين ما المراد من كلمة الأمر كله هو الرغبة في الخلاص من النار ودخوله الجنة فرأس الأمر كله هو الإسلام ، والدخول فيه والإيمان بمبادئه وعقائده ، وعموده الصلاة ، فإذا سقط العمود سقط هذا الأمر ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله .

وقد أكد هذا الحديث على أنه ليس هناك عمل يمكن أن يسد مسد الجهاد أبداً ، والحديث بجملته قائم على الحوار الذي كان يتعمده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوضح ذلك في قوله المتكرر " ألا أخبرك ؟ " ألا أدلك ؟ في التعبير عن المعاني المجردة بالصور الحسية الملموسة .

ولا يخفى فقد جاء في الحديث ثلاثة تشبيهات بليغة وكانت بطريقة التشبيه المفروق فضلاً عن كونها تشبيهات مقلوبة زيادة في المبالغة لأن الصفة المشتركة في رأس الأمر دخول الجنة والخلاص من النار فكأنه قال : الإسلام رأس الأمر كما لا يستقيم هذا الدين إلا بالعبادة التي تكون الصلاة في مقدمتها ، فهي بمثابة العمود الذي يحافظ على بقاء البيت مرفوعاً بذلك الجهاد، فيمثل الذروة أو القمة لهذا الدين لأنه بالجهاد تدافع عن هذا الدين لتحدد وتثبت أركانه وتعلو كلمة الله تعالى .

التشبيه الموقوف :

وهو من أنواع التشبيه المتعدد وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولاً عن طريق العطف أو غيره ثم بالمشبهات بها كذلك ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما مثلي ومثل أمتي ، كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الذباب والفراش يقعن فيها ، وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيها " (١).

فإذا نظرنا إلى هذا التشبيه من حيث الطرفين " المشبه والمشبه به " تجده صلى الله عليه وسلم ذكر المشبهات أولاً " مثلي ومثل أمتي " ثم أتى

(١) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، حديث رقم ٢٥٧٤ ، ص ٦٤٢ .

بالمشبهات بها ثانياً ، كالذي استوقد ناراً وأناس من أمتي كالفراش والذباب فهو تشبيه ملفوف من حيث التعدد ومن حيث ذكر المشبهات أولاً ثم المشبهات به .

أما من حيث وجه الشبه فهو تشبيه تمثيل وسنتعرض لهذا الحديث بالشرح والتفصيل عند الحديث عن تشبيه التمثيل .

تشبيه الجمع :

ونعني به أن يتعدد المشبه به دون المشبه ، وذلك لزيادة في البيان والإيضاح والكشف عن المعاني الدقيقة وإيصالها إلى ذهن السامع ، واقتناعه بها ، ويكون وجه الشبه مفرداً سواء أكان التشبيه مجملاً أو مفصلاً ، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك بقوله : " جملة القول أنك متى زدت في التشبيه على مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة ، فقد دخلت في التفصيل والتركيب وفتحت باب التفاضيل ثم تختلف المنازل في الفضل بحسب الصورة في استنفادك قوة الاستقصاء أو رضاك بالعفو دون الجهد " (٢).

ومما جاء من تشبيه الجمع ما رواه ابن عمر ، قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور " (١).

ففي هذا الحديث يريد أن يكون المرء في هذه الدنيا كالغريب مهما طالته إقامته في البلد الذي اقترب فيه ، ولأنه ليس من أهله ، وسيعود يوماً إلى بلده ويتركه ، فالمخاطب هو المشبه ، والغريب هو المشبه به ، وأردف عبارة التشبيه بأخرى مثلها وهي قوله : " أو عابر سبيل " فالمشبه المخاطب

(٢) أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجاني ، ص ١٤٥ .
(١) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٣٣٣ ، ص ٥٢٧ .

نفسه والمشبه به عابر سبيل فالتشبيه يسميه البلاغيون تشبيه الجمع لتعدد المشبه به دون المشبه كما ذكرنا.

ومن تشبيه الجمع أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" (٢) فالرسول يشبه الدنيا مرة بالسجن بالنسبة للمؤمن لأنه يؤمن بمحدوديتها ويعلم أنها دار بلاء وابتلاء ولعلمه أنه سيثاب على ذلك في دار القرار ولهذا يعبد ويحتسب أملاً في الجنة فالدنيا تشبه السجن ولكن هذه الدنيا نفسها يشبهها الرسول الكريم بالجنة بالنسبة للكافر لأنه يتمتع بما فيها ولكفره وعدم إيمانه بما سيكون من حساب وعقاب ينتظره في الآخرة فهي جنة بالنسبة له يتمتع فيها كما يشاء دون نظر لعقابه .

فالتشبيه تشبيه بليغ ومن نوع تشبيه الجمع لأنه شبه الدنيا مرة بالسجن ومرة أخرى بالجنة فتعدد المشبه به دون المشبه .

ومن تشبيه الجمع أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " يأتي القرآن وأهله الذين يعملون في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، قال نواس: " وضرب الله لهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: "تأتیان كأنهما غيابتان وبينهما شرق أو كأنهما غماتان سوداوان أو كأنهما ظلة من طير صواف تجادلان عن صاحبهما" (١).

فشبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - السورتين البقرة وآل عمران بالغيابتين أي ظلتين بينهما شرق في الأولى وبغماتين في الثاني وبالظلة من طير صواف في الثالثة تحاجان عن صاحبها يوم القيامة فالمشبه السورتان "البقرة وآل عمران" أما المشبه به فتعدد وبهذا يسمى تشبيه الجمع .

(٢) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٣٢٤ ، ص ٥٢٥ .
(١) سنن الترمذي / الحديث رقم ٢٨٨٣ ، ص ٦٤٤ - ٦٤٥ .

ولا يخفى في الحديث من تصوير لبيان فضل هاتين السورتين الكريمتين فيقرر الرسول الكريم فضل قراءة القرآن وما يعود به من نفع يوم القيامة ، لأن المرء يحتاج إلى الشفيع في ذلك اليوم وأن أصحاب القرآن الكريم يكون لهم هذا الفضل العظيم وهم الذين يعملون به ، لأن التلاوة وحدها لا تكفي ، ثم خصَّ الرسول صلى الله عليه وسلم سورتي البقرة وآل عمران بفضيلة تدعو المرء أن يكثر من قراءتهما ثم ضرب لهما ثلاث أمثال في مجيئهما غيابتان أو كأنهما غامتان أو كأنهما ظلّة من طير صواف ، فهما تأتيان بصورة من هذه الصورة المتقاربة تحاجان عن أصحابها بتبغيان لهم الشفاعة وليس من شك في أن تضرب ثلاثة أمثلة لشيء واحد يدل على غزارة الخيال ، كما يدل على أهمية هذا الذي تضرب له هذه الأمثلة والتشبيه تشبيه جمع كما هو بيّن .

تشبيه التسوية :

تشبيه التسوية هو ما تعدد فيه المشبه دون المشبه به ومن أمثلة ذلك قول صلى الله عليه وسلم : " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل " (٢).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : الساعي على الأرملة والمسكين يكمن في تعدد المشبه بأنه قال الساعي على الأرملة كالمجاهد في سبيل الله أو الساعي على الأرملة كالذي يصوم النهار ويقوم الليل ، أو الساعي على المسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو الساعي على المسكين كالذي يصوم النهار ويقوم الليل لأن وجود " أو " في جملة المشبه به لا تقيد الجمع والاشتراك بل تقيد التخيير فلذلك التشبيه تشبيه تسوية.

(٢) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٥٧٤ ، ص ٦٤٢ .

وتقدم الكلام على الجهاد كما ذكرنا أنه ذروة سنام الإسلام ، وأجره عظيم ، نطقت بذلك الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، فالذي يسعى على الأرملة والمسكين ينفق عليهما كالمجاهد في سبيل الله هذه صورة ، أو كالعابد المخلص في عبادته في صيامه النهار وقيامه الليل ، بشكل متواصل ، وهذه صورة أخرى ، وهاتان الصورتان جيء بهما للدلالة على عظيم ثواب المتصدق على هؤلاء المعوزين كالأرملة التي فقدت زوجها ولم يعد هناك من ينفق عليها ، ولا من يقوم بحاجتها ، وكالمسكين الذي لا يكفي ما عنده لسد حاجاته .

وإذا تأملنا الأمثلة السابقة في صور التشبيه المتعدد " الجمع ، التسوية ، الملفوف ، المفروق " وجدناه قائمة على مبدأ تكثيف الصورة ، وهي تطابق كل المطابقة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال : " أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً " ^(١).

(١) المعجم المفهرس / فؤاد عبد الباقي .

المبحث الثالث التشبيه المركب

وهو التشبيه التمثيلي، وهو ما كان وجه الشبه فيه مركباً أو منتزِعاً من أمور متعددة ، حسيّاً كان أم عقليّاً ، وهو ما ذهب إليه الخطيب القزويني وجمهور البلاغيين إذ إنهم لا يشترطون في التشبيه التمثيلي غير تركيب الوجه، وهذا هو المذهب المشهور (١) .

وعلى الرغم من أنني سوف اتخذ لبحت التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي مذهب الخطيب القزويني وجمهور البلاغيين ، إلا أنني أشير إلى بعض الآراء الأخرى المتعلقة بالتشبيه التمثيلي من قريب أو من بعيد ، وذلك للإحاطة بالأمثلة الواردة في الحديث الشريف ، سواء كانت متعددة على الحس والمشاهد أو غيرها .

وقد اختلف البلاغيون في نظرهم إلى التمثيل ، وفي تحديد مفهومه . وقد بحثوا هذا النوع من التشبيه في موضوع وجه الشبه ، وهو أحد أركان التشبيه الأربعة ، وقد عرفه القزويني بقوله: " فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخيلاً" (٢) .

وهو في حقيقته الأدبية والفنية ثمرة لإحساس الأديب بما يجمع مشبهه الذي له معه تجربة مخصوصة مع المشبه به الذي يثير في نفسه ووجدانه ما يفيض في تشبيهه الفني تماسكاً عاطفياً ، وتجاوياً شعورياً بين طرفيه (٣) .

والتشبيه التمثيلي ، ضرب خاص من ضروب الأساليب البلاغية في التعبير غير المباشر (٤) وقد أشار قدامة بن جعفر إلى ذلك عندما تحدث

(١) معجم البلاغة العربية / د . بدوي طبانة ، ص ٨٢٣ ، مذهب الخطيب القزويني وجمهور البلاغيين في التمثيل أنه هو التشبيه الذي يكون وجه الشبه فيه منتزِعاً من أمور متعددة .

(٢) الإيضاح القزويني ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

(٣) البلاغة والتطبيق / د . أحمد مطلوب ، ود . كمال حسن البصير ، مطبعة دار المكتبة ، جامعة الموصل ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٨١ .

(٤) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية / . مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ص ٢٠١ .

عن الشعر بقوله: " إن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر أو ذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه " (١).

أما عبد القاهر الجرجاني ، فقد بلور مفهوم التمثيل وجلاه تجلية ظاهرة بينة ، فهو عنده كل صورة قائمة على التشبيه ، ووجه الشبه فيها عقلي منتزع بضرب من التأويل والتخييل ، ولهذا يفترق عنده عن بقية الصور التشبيهية التي يكون وجه الشبه بين أطرافها منتزعاً من قبل الحس ، يقول : " أعلم أن الشئيين إذا أشبه أحدهما للآخر ، كان ذلك على ضربين : أحدهما أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأويل ، والآخر أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأويل " (٢) وقد خص التمثيل لهذا الضرب الثاني من التشبيه (٣) .

ومن أجل أن يكون لنا تصور واضح عن التشبيه التمثيلي ، نستبعد تجوز عبد القاهر ، أن يكون وجه الشبه فيه مفرداً عقلياً ، كما نأخذ بشرط السكاكي في أن يكون وصفاً غير حقيقي (٤) ، لأن هذا الوصف منتزع من الطرفين وهو هيئة متصورة متخيلة (٥) ، ومن هنا فإن الشرط الأساس أن يكون مركباً والوصف غير حقيقي ، وأن يحتاج إلى تأويل ، كما اشترط عبد القاهر ، لأن هذا التأويل هو الذي يمنح التمثيل قيمته الفنية في استشفاف المعنى المشترك وإدراك أبعاد العلاقات الخفية فيه .

وعلى الرغم من اختلاف البلاغيين في نظرتهم إلى تشبيه التمثيل وفي تحديد مفهومه ، كادوا يتفقون أخيراً على أن التشبيه التمثيلي هو ما

(١) نقد الشعر / قدامة بن جعفر ، ص ١٥٨ .

(٢) العمدة / ابن رشيق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٣) أسرار البلاغة / الجرجاني ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) مفتاح العلوم / القزويني ، ص ١٨٥ .

(٥) الصورة المجازية في شعر المتنبي / جليل رشيد فالح ، ص ٧٦ .

كان وجه الشبه فيه عقلياً أو هيئة منتزعة من عدة أمور ، يجمع بعضهما إلى بعض ، ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشئيين ، يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان بهما في حال الأفراد^(١) .

وقد استخدم الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - مسالك التشبيه التمثيلي وسيلة من وسائل إيضاح المعنى وتقريب الأفكار ، ولهذا نجده ظاهرة واسعة الجوانب بعيدة الغور في تعميق المعاني وتأثيرها في القلوب لأن هذا الأسلوب يجسم المعاني ويعبر عنها بأسلوب تصويري يقربه إلى العقول^(٢) .

وبذلك فتشبيه التمثيل أبلغ من غيره ، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر وتدقيق نظر ، وهو أعظم أثراً في المعاني ، يرفع قدرها ويضاعف قواها في تحريك النفوس بها ، وبذلك لاستخراج صورة للأشياء التي يراد معرفتها والكشف عنها^(٣) .

وقد ورد تشبيه التمثيل كثيراً في حديثه صلى الله عليه وسلم لا مجال لحصره ولكن لناخذ بعض الأمثلة لنقف على روعة التصوير وجمال الأسلوب، والصورة المكثفة .

ومما ورد في تشبيه التمثيل قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما مثلي ومثل الأنبياء قبلي كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موقع لبنة فجعل الناس يدخلونها ، ويعجبون منها ، ويقولون لولا موقع اللبنة " ^(٤) .

فهذا التشبيه تمثيل لأن وجه الشبه فيه مأخوذ من متعدد ، فقد شبه صلى الله عليه وسلم الأنبياء عليهم السلام وما بعثوا به من إرشاد الناس

(١) أسرار البلاغة / الجرجاني ، ص ٧٣ .

(٢) أسرار البلاغة / الجرجاني ، ص ١٤٩ .

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبدع / السيد أحمد الهاشمي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،

بدون تاريخ ، ص ٢٥٦ .

(٤) سنن الترمذي / الترمذي ، ص ٤٦٠ ، الحديث رقم ٢٨٦٢ .

إلى مكارم الأخلاق ، وحميد الصفات بدار أسست قواعدها، ورفع بنيانها وبقي موضع لبنة فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق كأنه هو تلك اللبنة التي بها إصلاح ما بقي من الدار فوجه الشبه صورة شيء جميل ينقصه شيء مهم ، وهذه الصورة انتزعت من واقع الناس المألوف المعهود ، فليس هناك من يجهل البناء أو البيوت وطريقة بنائها وجمالها وهندستها ، فخاتم المرسلين لبنة تكمل وتكمل بناء النبوة والرسالة ، فأبي تواضع هذا وأي إبداع في هذا التشبيه الرهيب فالرسول لبنة ولكن هذه اللبنة لا يكتمل البناء إلا بها ، ولا يكتمل لهذا البناء الحسن بغيرها فمكانها معلوم ، وأثرها واضح ، فكل الذين طافوا بالبيت أو البناء رأوه ، وانتبهوا إليه وأسفوا لهذا النقص الظاهر ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة الذي أكمل لهذا البناء حسنه وجماله .

وفي مشهد آخر يتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحرية الفردية وضرورة كونها محددة بمصلحة الأمة فيقول صلى الله عليه وسلم " مثل القائم على حدود الله ، والمدفن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها ، فقال الذين في أعلاها لا ندعم تصعدون فتؤذنا ، فقال الذين في أسفلها فإنا ننقبها من أسفلها فنستقي ، فإن أخذوا على أيديهم فمنعواهم نجوا جميعاً ، وإن تركوهم غرقوا جميعاً " (١).

ففي هذا الحديث يشير النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى حدود الله ومعناها أحكام شريعته ، والمراد من القيام عليها التزامها ، والعمل بها، كما

(١) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢١٧٣ ، ص ٤٩١ .

أن المراد من الوقوع فيها مخالفتها وترك العمل بها ، ومعنى استهموا أخذ كل فريق سهماً بالقرعة.

والتشبيه في الحديث من قبيل تشبيه التمثيل لأن وجه الشبه فيه منتزع من متعدد ، وهو تشبيه حال المسلمين القائم منهم على حدود الله والواقع فيها والساكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحال قوم شركاء في سفينة تنازعوا فاستهموا على قسمتها ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فأراد من في أسفلها خرقها تيسيراً للحصول على الماء في ظنهم ولم يجدوا بأساً من ذلك على اعتبار أنهم يتصرفون في حقهم ونصيبهم ، فإن منعهم من هم في أعلى السفينة من هذا التصرف الخطر نجا الجميع ، وإن تركوهم وما أرادوا هلك الجميع ، فهل رأيت أجمل من هذا التصوير في إيضاح صيانة الأمة وأمنها وأن ذلك لا يحصل إلا بأخذ الراشدين فيها على أيدي العابثين والمفسدين ؟ فليس المرء حراً أن يصنع ما يشاء من المعاصي لأن ذلك سيعرض كيان الأمة إلى الهدم والانهيار .

ومما ورد من تشبيه التمثيل قوله صلى الله عليه وسلم : " رأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء قال : " فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا " (١).

وفي هذا الحديث قدّم الرسول - صلى الله عليه وسلم - المشبه به ليشد انتباه السامعين إليه ويشوقهم بقوله ، وقد اقترن هذا التشويق بالاستفهام التقريري ليطيل الشوق ويزيد الانتباه، والصورة هنا مع أنها فرضية محبوبة يتمناها كل فرد يشعر بالحياة ويحس بالجمال ، لأن كل إنسان يتمنى أن يكون في بابه نهر يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، وهذا

(١) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٨٦٨ ، ص ٦٤١ .

النهر جارٍ جميل عذب ، والاعتسال يتم فيه خمس مرات في اليوم الواحد ، فهل يمكن أن يعلق من الدرن شيء مع هذا الغسل المتجدد ؟ فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرر لأمته فضل الصلاة ويؤكد أجرها فتكرار الصلاة يمحو الخطايا كما أن تكرار الاعتسال يزيل الدرن والوسخ ، فالإنسان خطأً يرتكب كثيراً من المخالفات ، والصلاة تكفر هذه المخالفات والخطايا فوجه الشبه مأخوذ من عدة أمور ، فأشياء كثيرة متكررة لتزيل أشياء فالصلوات تتكرر خمس مرات في اليوم تزيل الخطايا والآثام والغسل يتكرر يزيل الأدران والأوساخ ويقول الدكتور عز الدين السيد في إيضاحه لدقة البيان النبوي الكريم : " وحسبك ما توحى به كلمة النهر النكرة من رقة وصفاء وعذوبة وعظمة ، وما توحى من تحتها الأنهار ، وما يخيل لنا الفعل " يغتسل " من استحضار الصورة مع التجدد والحدوث طرفي النهار وزناً من الليل يدل عليها العدد المحصور في اليوم ، ثم يطرد هذا مع العدد صعوداً (١).

ومما جاء أيضاً من تشبيه التمثيل قوله - صلى الله عليه وسلم - في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، ريحها مر وطعمها مر " (٢).

وفي هذا الحديث يقول ابن الأثير : " وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن القارئ هو متصف بصفتين هما الإيمان والقراءة بالأترجة وهي ذات وصفين هما الطعم والريح ،

(١) الحديث الشريف من الوجوه البلاغية / د. عز الدين السيد ، ص ١٥٠ .
(٢) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٨٦٥ ، ص ٦٤١ .

وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القارئ وفي المنافق القارئ والمنافق غير القارئ " (١).

وهذا التقسيم مبني على موقف الإنسان من تلاوة القرآن ، فالمؤمن حلو على كل حال ، لكن يجمع مع الحلاوة الريح الطيب إن كان قارئاً لكتاب الله والمنافق مر على كل حال ، لكن قد يجمع مع المرارة الريح الطيب إن كان يقرأ القرآن ، وعلى هذا فقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى أربعة أقسام :

الأول : من يقرأ القرآن ويعمل بما فيه فهو في أعلى المراتب وقد شبهه الرسول الكريم بالأتربة ، وهي الفاكهة الطيبة ذات الريح العاطر الذي ينعش النفس ويبهج القلب بحلاوتها وطيبها وقوله صلى الله عليه وسلم : " ريحها طيب وطعمها طيب ، إشارة إلى بلوغ درجة الكمال في طيب الباطن والظاهر " .

والثاني : مؤمن لا يقرأ القرآن ولكنه مصدق بما فيه ، فهو ناقص الإيمان ، وقد شبهه صلى الله عليه وسلم بالثمرة في طيب الباطن لوجود الإيمان دون الظاهر لهجره تلاوة القرآن ، فالباطن جميل يشبه حلاوة الثمر ، وأما الظاهر وهو طيب الرائحة فإنه مفقود لأن الثمرة لا ريح فيها .

والثالث : منافق يقرأ القرآن ، ولكنه لا يعمل بما فيه ضال لا يهتم بهدي الله فيشبهه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالريحانة في الظاهر ، وفساد الباطن ، فالريح طيب والطعم علقم ، وهذه المرارة إنما جاءت من النفاق ، وليس في الحديث ما يدل على المديح والثناء لهذا الصنف ، بل على العكس هو ذم لأنه ذكر باسم النفاق .

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / لابن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، شركة مكتبة البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٣٦م ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

والرابع : منافق لا يقرأ القرآن ولا يدري بما فيه فهو أخط درجات المنازل ، وقد شبهه صلى الله عليه وسلم بالحنظلة في خبث الظاهر والباطن فهو بعيد عن الله عز وجل .

وهذا التشبيه تتجلى فيه دقة التصوير وإحكامه لأنه من هدف سيد المرسلين أن يرشدنا فيه إلى فضائل تلاوة القرآن ، ليبقى قلب المؤمن مستنيراً بنور الله مسترشداً بهدي هذا الكتاب المقدس الذي قال الله فيه: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١) .

والتشبيه مشتق من البيئة كما يقول الدكتور الصباغ : " وهذه الصورة معتمدة على معرفة بأنواع النباتات والثمار الموجودة في البيئة العربية وهي تساعد على مزيد من التذوق والفهم لحالة كل من المؤمن والمنافق " (٢) .

ومن تشبيه التمثيل أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما مثلي ومثل أمي كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الذباب والفراش يقعن فيها وأنا آخذ بحجزكم ، وأنتم تقحمون فيها " (٣) .

فالحديث الشريف كله تشبيه تمثيلي فقد شبه صفة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحاله في دعائه للناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ، وما تزين لهم أنفسهم من التماذي في الباطل ، كمثل رجل عالج إيقاد النار ، وسعى في تحصيل كل أسباب اشتدادها " نارها ونورها " ولكن بدل أن يهتدي بها الضال ، ويسترشد بها الحائر ، أقبل عليها الفراش والذباب تنهاوى فيها ويسقط ، والجامع بين الطرفين صفة منتزعة من أمور متعددة تتخلص في إتباع الهوى وضعف التمييز ، وحرص كل من الطائفتين على

(١) سورة الحشر / الآية ٢١ .

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي / محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨١م ، ص ٨١ .

(٣) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، الحديث رقم ٢٨٧٤ ، ص ٦٤٢ .

هلاك نفسه فيقرر الرسول صلى الله عليه وسلم شدة حرصه على المؤمنين ، ورحمته بهم، وشدة جذب الشيطان وفتنته وطاعتهم له فيخرج ذلك في هيئة متخيلة حية كائنة يعرفها جميع الناس ، وتتجلى لنا دقة التصوير عندما نتخيل هذه الصورة المكتملة الجوانب عندما نتأملها أمامنا نابضة المشاهد أفعالاً وحركات سريعة متلاحقة وصراعاً ومغالبة بين الهدى والهوى ، وصورة مقابلة يدفع بعضها إلى الخير المنجي والآخر إلى الشر المهلك ، فينتقل إحساسنا إلى حالنا وحال النبي صلى الله عليه وسلم فنرى أنفسنا في صراع الهوى الغالب للهدى ، وذلك الفراش الأحرق الذي يضحي بالحياة في اندفاع قاهر ، فإذا اجتذبه المشفق الرحيم إليه ضاناً بحياته غلبه الهوى على نفسه فاقتحم المهالك، وهنا نحاول أن نفهم هذه المفارقات ، فنرى كل كبيرة ناراً تغرينا بالبريق يصرعنا فيها الهوى ويجذبنا منها الرءوف الرحيم بنا يأخذ بحجزنا مكرراً الزجر ومقدراً الحرمة ، مؤكداً النداء ، وبالرغم ذلك كله نغلبه فنقتحم في النار نسأله الستر والعافية .

" إن هذا التخييل الحسن لا يبتعد كثيراً عن الحقيقة أليست الذنوب والكبائر أسباباً توصل إلى النار ؟

إنها الضوء الكاذب الخادع بصفة إبليس عدو البشر على حافة النار ليحرقهم فيها ، ثم أليست قلوبنا تتأثر من حين لآخر بالزاجر الرادع يكفنا ويجذبنا ؟ ذلك الآخذ بالحجز ، فيغلب الشيطان بخداعه فتغلب المعصية ، وذلك الاقتحام في النار " (١).

وفيما تقدم نكون قد وقفنا على نماذج من التشبيه في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومما ينبغي ملاحظته أن هذه التشبيهات على اختلاف أنواعها سواء أكان التشبيه بليغاً أو ضمنياً أو تمثيلاً أو غيره لا

(١) الحديث الشريف من الوجوه البلاغية / د. عز الدين علي السيد ، ص ١٥٦ .

لبس فيها ولا غموض ويؤدي غرضنا في أيسر وأمتع ما يكون مما يؤكد ما
للرسول صلى الله عليه وسلم من قدرة فائقة على صوغ الكلام وإيضاحه ،
وسلاسته ، وعذوبته قد بلغ المنزلة التي لم يبلغها فصحاء العرب أو يدانوها
ولهذا خلت أقواله- صلى الله عليه وسلم- وتشبيهاته من التعقيد " اللفظي
أو المعنوي " وضعف التركيب والإبهام والغموض مما يؤكد أنه أفصح
الناس قاطبة .

الفصل الثاني

الصورة الاستعارية

ويشتمل علي ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الاستعارة وأثرها في إبراز المعني .

المبحث الثاني : الاستعارة المفردة .

المبحث الثالث : الاستعارة المركبة (التمثيلية) .

المبحث الأول

- مفهوم الاستعارة .
- أثر الاستعارة في إبراز المعنى .
- تقسيمات الاستعارة .

الفصل الثاني الصورة الاستعارية المبحث الأول

مفهوم الاستعارة :

الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة ، وهي لغة : مأخوذة من العارية ، أي : نقل الشيء من شخص إلى آخر ، حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه .

يقول ابن منظور : (والعارية العارة : ما تداولوه بينهم ، وقد أعاره الشيء ، وأعاره منه ، وعاوره إياه ، والمعاورة والتعاور : شبه المداولة : والتداول في الشيء يكون بين اثنين ... واستعاره الشيء واستعاره منه : طلب منه أن يعيره إياه)^(١).

ويلحظ أن هناك علاقة بين الاستعارة الحقيقية والاستعارة المجازية يقول ابن الأثير : (الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة ، وهي : أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء ، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما، يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً ، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً ، إذ لا يعرفه حتى يستعير منه ، وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض ، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر)^(٢)

وهذه إشارة واضحة من ابن الأثير إلى العلاقة . وللعلوي كلام قريب من هذا المعنى ، حيث يقول : (اعلم أن الاستعارة المجازية مأخوذة من

(١) لسان العرب ، ٦١٨/٤ .
(٢) المثل السائر ٨٢/١ - ٨٣ .

الاستعارة الحقيقية ، وإنما لقب هذا النوع من المجاز بالاستعارة أخذاً لها مما ذكرناه ، لأن الواحد منا يستعير من غيره رداءً ليلبسه ، ومثل هذا لا يقع إلا من شخصين بينهما معرفة ومعاملة ، فتقتضي تلك المعرفة استعارة أحدهما من الآخر ، فإذا لم يكن بينهما معرفة بوجه من الوجوه ، فلا يستعير أحدهما من الآخر من أجل الانقطاع ، وهذا الحكم جارٍ في الاستعارة المجازية ، فإنك لا تستعير أحد اللفظين للآخر إلا بواسطة التعارف المعنوي ، كما أن أحد الشخصين لا يستعير من الآخر إلا بواسطة المعرفة بينهما (١) .

وهذا يقودنا إلى التعريف الاصطلاحي للاستعارة فهي - كما عرفها عبد القاهر الجرجاني (أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره ، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه) (٢)

- ويقول - في أسرار البلاغة : (اعلم أن الاستعارة في الجملة : أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية) (٣) .

- ولعل تعريف السكاكي للاستعارة أدق تحديداً ، وأشهر في الأوساط البلاغية ، حيث يقول : (هي : أن تذكر أحد طرفي التشبيه ، وتريد به الطرف الآخر ، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص

(١) الطراز ١/١٩٨ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٦٧ .

(٣) أسرار البلاغة ، ص ٣٠ .

المشبه به ، كما تقول : " في الحمام أسد " وأنت تريد به :
الرجل الشجاع ، مدعياً أنه من جنس الأسود ، فتثبت للرجال
الشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه ، مع سد طريق
التشبيه بإفراده بالذكر ، أو كما تقول : " إن المنية أنشبت
أظفارها بفلان " وأنت تريد بالمنية : السبع بادعاء السبعية لها
، وإنكاره أن يكون شيئاً غير سبع ، فتثبت لها ما يخص
المشبه به وهو الأظفار (١) .

وهو تحديد شامل للاستعارة بنوعيتها : التصريحية ، والمكنية .
أما الفخر الرازي فيرى أن الاستعارة (ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما
لغيره له ، لأجل المبالغة في التشبيه) (٢) .
أركان الاستعارة :

والأركان التي تقوم عليها الاستعارة ثلاثة :

- المستعار منه وهو : المشبه به .
- المستعار له وهو : المشبه .
- والمستعار وهو : اللفظ المنقول .
- يقول الزركشي : (لا بد في الاستعارة من ثلاثة أشياء أصول
: مستعار ، ومستعار منه وهو اللفظ ، ومستعار له وهو
المعنى) (٣) .
- والاستعارة تغاير التشبيه ، وإن كانت بعض صور التشبيه
البلوغ مما يتردد بين التشبيه والاستعارة عند بعض البلاغيين .

(١) مفتاح العلوم ، ص ٣٦٩ .

(٢) نهاية الإيجاز ، ص ٢٣٢ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ، ٤٣٥/٣ .

أثر الاستعارة في إبراز المعنى :

الاستعارة تبنى على التشبيه ، وقد أشرت - فيما سبق - إلى أثره في إبراز المعنى ، كما أن الاستعارة من المجاز بل هي رأسه ، والمجاز أبلغ الحقيقة ، وللاستعارة منزلة رفيعة في البلاغة ، فهي أسلوب جميل وتصوير بارع ، مع إيجاز في اللفظ ، وفيها مجال فسيح للابتكار والإبداع .

وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن فضلها ومنزلتها فقال : (وهي أمدُّ ميداناً وأشدُّ افتناناً ، وأكثر جرياناً ، وأعجب حسناً وإحساناً ، وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً ، من أن تجمع شُعبها وشُعبها ، وتحصر فنونها وضروبها ... ومن الفضيلة الجامعة فيها : أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً..)

ومن خصائصها التي تذكر بها - وهي عنوان مناقبها - أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنّي من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر ..^(١)

وقد تحدث كثير من البلاغيين والأدباء عن أثرها في التشخيص والتجسيم واستنطاق ما لا ينطق ، وبث الحياة فيما ليس بحي ، يقول عبد القاهر : (فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية ، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها ، ولا رونق لها ما لم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها ، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل ، كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ،

(١) أسرار البلاغة ، ص ٤٢-٤٣ .

وإن شئت لطف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تتألف إلا
الظنون (١).

فلا غرابة إذا (أن تكون الاستعارة أفضل المجاز ، وأول أبواب
البدیع، وليس في حلی الشعر أعجب منها ، وهي من محاسن الكلام إذا
وقعت موقعها ، ونزلت موضعها) (٢) .

ويقول أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) والاستعارة أوكد في النفس من
الحقيقة ، وتفعل في النفوس ما لا تفعله الحقيقة (٣) .

هذه نظرة القدماء إليها ، وهي تتفق مع نظرة المعاصرين ، بل ربما
كان المعاصرون أكثر تعلقاً بها ، وهي في تصويرهم لها بأنها : (أسلوب
جميل ، وبيان باهر ساحر ، حيث فيها التزيين ، والاختصار والإيجاز ،
والجدة والإيضاح ، والتأكيد والمبالغة) (٤) .

إضافة إلى ما سبق فإن الاستعارة تقوم على تناسي التشبيه ، وإدعاء
أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه ، وهذا الادعاء هو
الذي يحقق الخيال في الاستعارة ، ويصل بها إلى الغاية المقصودة وهي :
المبالغة: فالمشبه به فيها عبارة عن نوعين - كما حققه السكاكي : نوع
متعارف ، ونوع آخر غير متعارف وهو المراد .

تقسيمات الاستعارة :

لعل عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري من أوائل من
قسم الاستعارة إلى قسمين : مفيدة وغير مفيدة ، فالمفيدة عنده ما كان لنقلها
فائدة ، وهي عمدة هذا الفن ومداره وغير المفيدة ما لا يكون لها فائدة في
النقل ، وموضعها حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق

(١) أسرار البلاغة ، ص ٤٣ .

(٢) العمدة ، ٢٦٨/١ .

(٣) البدیع في نقد الشعر ، ص ٤١ .

(٤) فن الاستعارة ، للدكتور : أحمد الصاوي ، ص ٣٢٢ .

أريد به التوسع في أوضاع اللغة^(١) وهذا فيه منهج وصفي يعتمد الذوق والتحليل مبني على إعطاء صورة للمعنى ودلالاته^(٢) .

وكانت محاولة السكاكي في مفتاح العلوم تعتمد الحصر والضبط والتقنين ، والإكثار من الأمثلة ، حيث قسم الاستعارة إلى ثلاثة عشر قسماً ما بين رعاية لطبيعة طرفيها أو قيامها على الاسم الجامد أو المشتق أو الفعل وغير ذلك^(٣) ..

وقد كانت هذه التقسيمات عمدة البلاغيين المتأخرين ، فيما بعد كالقزويني وشرح التلخيص وغيرهم ، الذين قسموها إلى أقسام كثيرة متشعبة، وعلى وفق أسس واعتبارات شتى^(٤) ، ولكن أهم تلك التقسيمات إلى تصريحية ومكنية^(٥) .

وهناك تقسيمات كثيرة أخرى يذكرها البلاغيون^(٦) ، ولكنها لا تخرج في خاتمة المطاف عن النوعين السابقين ، فهي إما لاحقة لها أو متأثرة بها^(٧) . هذه التقسيمات كانت مدار البحث البلاغي عند المتأخرين خاصة الذين أضافوا إليها وشققوها حتى تجاوزت العشرة من حيث وجوه الشبه ، وأدوات التشبيه وأطرافه ، مما ذهب برونق الاستعارة التصويري وبهائها الفني ، فغدت علماً لا ينبض بالحياة.

وهذه التقسيمات هي لون من تأثير البحث البلاغي عند القدماء بمنهج الدراسة النحوية ، من جهة والمنطق والنزعة الفلسفية الكلامية من

(١) أسرار البلاغة ، الجرجاني ، ص ٢٩ .
(٢) مبادئ النقد الأدبي / ريتشارد ، ترجمة د. محمد مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة ، للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص ٣١٠ .
(٣) السابق ، ص ٤٠ .
(٤) مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ١٧٤ .
(٥) الإيضاح في علوم البلاغة / القزويني ، ص ٤١٨ .
(٦) الطراز / يحيى بن حمزة العلوي ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .
(٧) مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ١٧٦ ، فنون البلاغة ، ص ١٢٩ .

جهة أخرى ، دخلت في تقسيم الاستعارة بعامة أحوالها إلى تقسيمات كثيرة ، ولناخذ هذا النص من مفتاح العلوم يبين بعض هذه التقسيمات .

قال السكاكي بعد أن قسم الاستعارة إلى قسمين رئيسيين تصريحية ومكنية : " والمصرح بها تنقسم إلى حقيقية وتخيلية ، والمراد بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك شيئاً متحققاً إما حسيّاً وإما عقليّاً ، والمراد بالتخيلية أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً ما لا تحقق له إلا في مجرد الوهم ، ثم تنقسم كل واحدة منهما إلى قطعية ، وهي أن يكون المشبه المتروك متعين الحمل على ما له تحقق حسي أو عقلي (١) .

والنص السابق يبين أن المنطق هو المسيطر في تقسيم الاستعارة إلى هذه الأقسام والمصطلحات التي لا تقدم شيئاً ذا بال في التذوق الأدبي وإدراك جمال التعبير الاستعاري (٢) .

من أجل ذلك وعلى حد قول الدكتور أحمد مطلوب لا مناص من أن نكتفي في الاستعارة بمصطلحات قليلة ، ولتكن الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية ورد جميع الأنواع الأخرى إلى هذين الأصلين (٣) ، وهي أجدى في إدراك الجمال الأدبي في التعبير .
تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين :

افتتن البلاغيون في دراسة الاستعارة وتبويب أنواعها ، ولم تفتهم في رأينا زاوية لم ينظروا إليها منها ، ولكن ذلك أفضى بالقضية إلى كثير من التشعب وأبرز زوايا النظر إليها عندهم ثلاث :

أولاً : زاوية المستعار منه : وهذا هو العنصر الجوهرى الوحيد الذي تقوم عليه الاستعارة ويعتبر محورها ، فقد يصرح في التركيب في لفظة فتسمى

(١) مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ١٧٦ .

(٢) الاستعارة في القرآن الكريم / أحمد فتحي رمضان ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، سنة ١٩٨٨ م ، ص ٨١ .

(٣) دراسات بلاغية ونقدية / د. أحمد مطلوب ، ص ٣٥ .

الاستعارة تصريحية ، وقد يستغني عن لفظة ويقتصر على شيء من لوازمه فتسمى مكنية .

ثانياً : زاوية المتعلقات بطرفي الاستعارة : فسموا الاستعارة التي خلت من ملائمت المستعار له والمستعار منه وما حوتها مطلقة ، والتي ذكر معها ملائم المستعار له فقط مجردة ، والتي ذكر معها ملائم المستعار منه فقط مرشحة .

ثالثاً : زاوية اللفظ التي جرت فيه الاستعارة : وصنفوا الاستعارة صنفين انطلاقاً من لفظها أو اشتقاقه ، واعتماداً على أن الأصالة في الجامد ، والتبعية في المشتق أو الفعلي ، فهي استعارة أصلية إذا كان اللفظ الذي جرت فيه اسماً جامداً ، وتبعية إذا كان اللفظ جرت فيه مشتقاً أو فعلاً^(١) . وقد اصطلحوا على تسمية المانع من الالتباس في الاستعارة بلفظ القرينة والقرينة عندهم لفظية أو حالية وما القرينة عند العرب إلا ما نسميه السياق الذي قد يدل بلفظ أو تركيب على الخروج من الخط العادي في الأخبار إلى خط التعبير والإيحاء كما قد يدل بطبيعة عناصر التركيب والربط بينها وترتيبها أو غير ذلك ، وقد يكون للقرينة أو للسياق في صور الاستعارة دور آخر لا يقل أهمية ويتمثل في مزيد تدقيق المستعار منه أحياناً أو المستعار له ، وتدقيقيهما معاً بمفرد أو تركيب وأكثر مما قد يدخل عند العرب في باب القرينة وقد لا يدخل^(٢) .

وعلى أساس ما تقدم سأدرس الاستعارة في الحديث النبوي الشريف من خلال تقسيماتها الرئيسية ، فضلاً عن دراسة بعض التقسيمات الفرعية ، التي أظن من الضروري دراستها لما لها من دور فاعل في التصوير البياني الذي يبرز دقائق المعنى الذي يقصده الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف .

(١) مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ١٨٠ .

(٢) خصائص الأسلوب في الشوقيات / الطرايبلي ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

المبحث الثاني الاستعارة المفردة

أولاً : الاستعارة التصريحية :

الاستعارة التصريحية هي أحد نوعين رئيسيين من الاستعارة التي ميزها البلاغيون القدامى وذلك ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني إذ يقول : " الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدع أن تفصح بالتشبيه ونظيره ، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعبره المشبه وتجريه عليه تريد أن تقول : " رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء ، فتدع ذلك ، وتقول : " رأيت أسداً " (١).

وهو إن لم يسمها استعارة تصريحية ، فإنه كان يعنيها في تعبيره " ولعل تعريفه هذا هو أول تعريف يظهر عند البلاغيين والنقاد القدامى يحدد الاستعارة اصطلاحاً ، ويخرجها من دائرة التعريف اللغوي والخلط بصور المجاز الأخرى " (٢).

والاستعارة التصريحية هي التي يذكر في تركيبها المشبه به الذي هو المستعار منه صريحاً ، ويحذف المشبه الذي هو المستعار له " الذي يكتسب بحذفه (٣) من التعبير معاني جديدة ، وإيحاءات جمالية نتيجة تفاعل طرفي الاستعارة كما سنرى ذلك من خلال استعراضنا لنماذج من الأساليب الاستعارية .

ولعل أهم ما يميز هذا النوع من الاستعارة ويحكم طبيعة الاستعارة في كونها تشبيه حذف أحد طرفيه ، أن المشبه فيها محذوف ، وقد ناب المشبه به الذي هو الركن الأساسي في التشبيه والاستعارة منابه.

(١) دلائل الإعجاز / الجرجاني ، ص ١٠٦ .

(٢) أسرار البلاغة / الجرجاني ، ص ٢٧٣ .

(٣) الاستعارة في القرآن الكريم / أحمد فتحي رمضان ، ص ٤٦ .

ويُقَسَّم البلاغيون الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية إلى أصلية وتبعية ، فالأصلية هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ التي جرت فيه الاستعارة اسماً جامداً غير مشتق " وسميت أصلية لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولاً " (١)

وقد صدر البلاغيون في تسمية هذه الاستعارة بالأصلية عن أن الأصل في الأشياء يعني الكثير الغالب منها " ومن المسلم به أن الاستعارة الأصلية أكثر من التبعية " (٢) أما التبعية فهي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ التي جرت فيه الاستعارة اسماً مشتقاً أو فعلاً (٣) ، فهي فرع عن الأصل وتبع له (٤).

ولقد وردت الاستعارة كثيراً في حديثه صلى الله عليه وسلم ، وبدت وسيلة بيانية مهمة في تجسيد الأفكار وتشخيصها ، وإيضاح المعاني والتعبير عنها بشكل فني جمالي متميز ، ولا عجب في ذلك ، فالنبي عليه السلام أفصح العرب ، وأبلغ من نطق بالضاد وحق لمن كان منتدباً لبيان القرآن الكريم وتفصيل مجمله ، وإيضاح موجزه ومشكله ، أن يكون بيانه في مستوى رفيع يليق ببيان القرآن الكريم وبلاغته الرفيعة المعجزة .

ومن أمثلة الاستعارة التصريحية الأصلية في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يبدأه بقوله : " إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات " ومما جاء فيه " فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ... " (١)

(١) جواهر البلاغة / أحمد الهاشمي ، ص ٣٠٩ .

(٢) البلاغة الاصطلاحية / عبده عبد العزيز قفيلة / دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ ، ص ٦٧ .

(٣) علم البيان / عبد العزيز عتيق ، ص ١٨٢ .

(٤) البلاغة الاصطلاحية / ص ٦٧ .

^١ سنن الترمذي ، ص ٦٤٠ ، حديث رقم ٢٨٦٣ .

ففي قوله صلى الله عليه وسلم (ربقه) استعارة تصريحية ، وذلك لأن شبه تعاليم الإسلام وأوامره ونواهيه ولزومها للمسلم ، بريقة الدابة التي تربط الدابة فتمنعها من الفرار ، كما تمنع تعاليم الإسلام المسلم من الخروج عليها ، بجامع المنع من الضرر في كل منها ، فحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ، وما دام اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة جامداً كانت الاستعارة أصلية والرسول صلى الله عليه وسلم يعظم الإسلام بهذه الصورة المعبرة عن ضرورة الالتزام بالإيمان العميق الذي يحدد المسلم فيمنعه عما اتفق عليه جماعة المسلمين من الانصياع الكامل لأوامر الإسلام وتعاليمه .

ويقول الشريف الرضي : " فشبّه عليه الصلاة والسلام مافي عنق الإنسان من لوازم الإسلام ومعاهد الإيمان بالريقة التي في عنق السخل لأنه تصده إذا هم بالشروء ، وتمسكه إذا جاذب إلى النزوع ، وكذلك الإسلام يمنع صاحبه من الارتكاب في المحظورات والانزلاق في الضلالات ، وهذه الاستعارة كما يتضح استعارة المحسوس للمعقول ، فشبه صلى الله عليه وسلم تعاليم الإسلام من أوامر ونواه ، وهي من الأمور المعقولة بما يقع تحت مشاهدة المسلم اليومية فشبهها بريقة الدابة ، وهذا مما يألفه المسلم ويستوعبه كامل الاستيعاب فيزيد من تمسكه بالإسلام ، وتعاليمه ، لأن الخروج عنها يمثل لديه انفلاتاً واضحاً نتيجة لهذه الصورة المحسوسة الماثلة أمامه (١)

ومن الاستعارة التصريحية التبعية مما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أتدرون ما المفلس " قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع ، قال رسول الله صلى الله

^١ المجازات النبوية / الشريف الرضي ، ص ١٧٠ .

عليه وسلم : " المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقعد فيقتض هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار (١)"

لم يترك الرسول عليه السلام طريقاً من طرق الخير إلا دل أمته عليه ، ولم يترك سبيلاً من سبل الشر إلا حذر أمته منه ، وفي هذا الحديث يلفت الرسول انتباهنا إلى أمر عظيم وهام من ناحية دقيقة طالما غفل كثير من الناس عنه ولم يفطنوا له وهو تصور الإفلاس على حقيقته ، فالناس يعتقدون المفلس من لا يملك شيئاً من المال فهم يحصرون الإفلاس في المادة فحسب لكن الرسول ينظر إلى الإفلاس من زاوية أوسع فهو يهتم بالحقيقة دون المظهر ، فهو يخاطب أصحابه بأسلوب فيه إشارة إلى البحث والتفكير ، فليس المال والمتاع بالشيء المخيف ولا بالأمر الخطير، لكن الإفلاس الحقيقي هو الخسران يوم القيامة .

أليس هذا مما يدعو إلى الحسرة والإشفاق أن يجمع الإنسان الحسنات ثم يأتي يوم القيامة، وقد ذهب لخصومه، ولم يبق منها إلى سيئات خصومه الذين ظلمهم في الدنيا فتطرح عليه فتكون نهايته في النار .

^١ سنن الترمذي / ص ٥٤٥ ، حديث رقم ٢٤١٨ .

ففي قوله صلى الله عليه وسلم : " طرحت عليه " استعارة تصريحية
تبعية وطريقة إجراء هذه الاستعارة كالاتي : أن يقال شبهت الخطايا
والسيئات بشيء ثقيل كالحمل الذي تحمله الدابة بجامع التعب والمشقة التي
تعترى الحامل ثم استعير لفظ الطرح للحمل الثقيل واشتق من طرح على
سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، فكأن الذنوب تطرح عن ظهر المظلوم
إلى ظهر الظالم فتزداد أثقاله ثم يطرح في جهنم .

والدور البياني للاستعارة التصريحية يكمن في التصريح بلفظ المشبه
به أو ما يسمى المستعار منه ، وهو ركن أساسي في الاستعارة لأن البيان
والتوضيح يتم عن طريقه مباشرة .

ثانياً : الاستعارة المكنية :

الاستعارة المكنية هي النوع الآخر الرئيسي من أنواع الاستعارة التي
ميزها البلاغيون كما مرّ بنا وقد ألمحنا أيضاً إلى أن عبد القاهر الجرجاني
هو أول^(١) من أشار إلى هذين النوعين من الاستعارة التصريحية والمكنية
وحدد معالم كل منهما تحديداً دقيقاً وإن لم يسمها بالمصطلحين الذين عرفها
فيما بعد عند السكاكي^(٢) .

إذن الاستعارة المكنية هي التي حذف منها المشبه به ورمز إليه
بشيء من لوازمه ، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك عندما قال : "
يؤخذ الاسم عن حقيقته ، ويوضع موضعاً لا يبيدين فيه شيء يشار إليه
فيقال هذا هو المراد بالاسم ، والذي استعير له ، وجعل خليفة لاسمه
الأصلي ونائباً منابه ."^(١)

(١) دلائل الإعجاز / الجرجاني ، ص ١٠٦ .

(٢) مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ١٧٤ .

١- أسرار البلاغة / الجرجاني ، ص ٣٤ .

ولعل الاستعارة المكنية أكثر عمقاً من الاستعارة التصريحية لأن في المكنية المشبه به محذوف ولكن بالتمعن وإعمال الفكر نجده موجود في شيء يرمز ويشير إليه وهذا التخفي هو العطاء الثر ، فهذه الاستعارة وهو أيضاً سبب من أسباب تسميتها بالمكنية .

والسر في بلاغة الاستعارة المكنية ما فيها من تشخيص وهبة حياة لذلك قدرة الخيال فيها أكبر والاستعارة المكنية من طرائق الأداء التي تقوم على التشخيص الإيحائي المنبثق عن صورة مادية حسية منتزعة من أفق البيئة (١)

والتصوير بهذا الأسلوب في البيان النبوي يبلغ الغاية من الجمال والرقّة ، ويتسع ليشمل أمور الدين والدنيا والحياة الحاضرة والحياة الخالدة . ومن تلك الصور المعبرة ، صورة الإسلام وقد بنى على أركان خمسة قال الرسول صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت (٢) .

ففي قوله - صلى الله عليه وسلم - " بني الإسلام " استعارة مكنية ، حيث شبه الإسلام بمبنى له دعائم ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو البناء على سبيل الاستعارة المكنية .

فالإسلام يصوره الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل محسوس فهو بناء قائم على أركان خمسة ، وهي صورة تبرز هذه الأركان وإن ترك واحدة منها يعني ضعفة لهذا البناء ، وتعريض له للهدم ، فقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم التشبيه الاستعاري من المعقول إلى المحسوس ليتمكن

١ - الصورة البيانية في الشعر العربي قبل الإسلام / ساهرة عبد الكريم ، ص ١٩٧ .
٢ - سنن الترمذي / ص ٥٨٧ ، حديث رقم ٢٦٠٩ .

المتلقي من استيعابه وفهمه على أسس من الإيمان الراسخ لأهمية الإسلام في حياة الفرد .

فدقة التصوير النبوي واضحة جلية ، لأن الإسلام ليس كلمة تقال وكفى، إن الإسلام بناء أي عمارة تشيد على خمس أركان هي : التوحيد ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، فلذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم يمثل أصول الإسلام وقواعده بالأشياء التي يقوم بها بناء البيت فإثبات البناء للإسلام تخيل للسامع لأن ذلك يكسبه ما لا يمكن أن يكون له على سبيل التحقيق ، وذلك من أجل غرض بلاغي يقصده الرسول صلى الله عليه وسلم وهو البعد المعنوي العقائدي الذي ينبغي أن يفهمه المسلم ويؤمن به لتثبيت أركان الدين الإسلامي الحنيف وهذه الأركان الخمسة لا تقوم إلا على أساس راسخ من الإيمان .

ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه من سواها ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار " (١) وفي نفس المعنى برواية أخرى قوله صلى الله عليه وسلم: " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً " (٢) .

ففي هذا الحديث استعارة مكنية ، فقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان بمأكل أو مشروب له طعم لذيذ ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو الذوق على سبيل الاستعارة المكنية ، فالإيمان له طعم وحلاوة ، ويذوق طعمه من رضي بهذه المعتقدات وهي أن الله ربه ، والإسلام دينه ، ومحمد رسول من عند الله ، فمن رضي بهذه المعتقدات

(١) سنن الترمذي ، ص ٥٩١ ، حديث رقم ٢٦٢٤ .

(٢) سنن الترمذي ، ص ٥٩١ ، حديث رقم ٢٦٢٣ .

من قلبه ذاق طعم الإيمان ، وفي ذلك تجسيم قصد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في تصوير المعاني بأمر حسية ، فالإيمان معنوي ، ولكنه يبدو هنا في النص شيئاً طيباً يذوق طعمه ناس معينون .

وقد قال العلماء : معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا ، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى ، بفعل طاعته وترك مخالفته كذلك محبة رسوله -صلى الله عليه وسلم^(١) .

ومن تلك الصور الاستعارية قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء ^(٢) ففي هذا الحديث استعارة مكنية حيث شبه الإسلام بالإنسان الذي يكون بين غير أهله ، وحذف المشبه به ورُفد إليه بشيء من لوازمه وهو كلمة " غريب " ويقول الشريف الرضي: " وهذا الكلام من محاسن الاستعارات وبدائع المجازات ، لأنه عليه السلام جعل الإسلام غريباً في أول أمر تشبيهاً بالرجل الغريب الذي قل أنصاره ، وبعدت دياره لأن الإسلام كان على هذه الصفة في أول ظهوره ثم استقرت قواعده ، وقوله عليه السلام وسيعود غريباً ، أي يعود إلى مثل الحالة الأولى في قلة العاملين بشرائعه والقائمين بوظائفه ^(١)

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ^(٢) في قوله : " لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " استعارة مكنية فقد شبه اليد اليمنى بإنسان واليد اليسرى بإنسان آخر ،

(١) انظر التصوير الفني في الحديث النبوي / الصباح ، ص ٢٧٨ .

(٢) سنن الترمذي ، ص ٥٩٣ ، حديث رقم ٢٦٢٩ .

١ - المجازات النبوية / الشريف الرضي ، ص ٣٢-٣٣ .

٢ - سنن الترمذي ، ص ٥٣٩ ، حديث رقم ٢٣٩١ .

وحذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي " تعلم " " وتنفق " على سبيل الاستعارة المكنية ، فاليد في هذا الحديث كائن مستقل فهي تدري وتنفق وتعرف فترى دقة التصوير البياني في أفضل صورة يصورها الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل المخلص الذي تصدق بصدقة خفية عن أعين الناس ابتغاء مرضاة الله لا لسمعة ولا رياء حتى أقرب ما يتصل به ألا وهي شماله وهذه هي أخلاق المسلم الذي ينبغي أن يترى عليها أبناء المجتمع الإسلامي .

ومن تلك الأمثلة كذلك قوله صلى الله عليه وسلم لمكة : " ما أطيبك من بلدٍ ، وأحبك إليَّ ولولا قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك ((١)) يقف الرسول صلى الله عليه وسلم موقف وفاء من مكة ذلك البلد ، بلد الوحي ، بالإضافة إلى أنه البلد الذي نشأ فيه ، وكونه اجتماعياً فهل يتركه ترك الجافي ويفارقه ؟ الجواب حتماً يكون بالنفي لأنه هو الرسول صلى الله عليه وسلم متم مكارم الأخلاق يهتز لفراق الوطن والأحباب ويعبر عن حزنه وألمه وحب لبلده فنأدى صلى الله عليه وسلم مكة البلد الحبيب منبته ومسرحه ومنشأه ناداها فخصها بنداؤه : ما أطيبك من بلد ، إننا نراها بهذا النداء رائية إليه ، وحنانية بقلب رعوف وسامعة عذره أمله في العودة ، عودة الظافر خاطبها بالتعجب من طيبها وحبها لها والتعجب إنما يكون أعظم الوصف واستدرك يعتذر عن فراقها أسفاً .

هكذا نقل النبي صلى الله عليه وسلم إحساسه إلى مكة وأضفى وجدانه عليها فكانت مخاطبة الحبيب بأسلوب الاستعارة الذي شبه به مكة بالحبيب الذي أرغم على فراقه وقد حذف هذا المشبه ، ورمز إليه بشيء

١- سنن الترمذي ، ص ٨٨٠ ، حديث رقم ٣٩٢٦ .

من لوازمه وهو إلغاء الكلام على جهة الخطاب ، والمخاطب هو المشبه (مكة) على سبيل الاستعارة المكنية .

وقد أضاف القوم إلى نفسه زيادة في تقدير عذره وتعريضاً بظلمهم وقسوتهم ، فليس بعد الأهل من خاذل وليس مع خذلانهم بقاء " (١) .

وهذا الأسلوب الاستعاري يتجلى أيضاً في صورة أخرى من صور الرسول صلى الله عليه وسلم ففي قوله : " تقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة قال فيجيء السارق ، فيقول : في مثل هذا قُطعت يدي ، ويجيء القاتل فيقول في مثل هذا قُتلتُ ويجيء القاطع فيقول في هذا قُطعتُ رحمي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً " (٢) .

وهذه صورة فنية رائعة الأرض حبلى بالمعادن الكثيرة ، والحديث يذكر هنا المعدنين الذهب والفضة والولادة عادة ما تكون من الأسفل ولكن الأرض في آخر الزمان عندما تنعكس الأمور تطرح أفلاذ أكبادها عن طريق القيء فلا يقتربها إنسان (٣) .

يصور لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتكالب عليه الناس من متاع وما يحصل منهم من جرائم يسببه بهذه الصورة الدميعة التي يشمئز منها الطبع : صورة القيء ، والقيء لأفلاذ الأكباد هذا المشهد الغيبي قطعة رائعة من ختام الحياة ، يصور فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الأرض صورة شخص غثيان ، يطرح من فمه ما يؤذيه حتى يقيء قطعاً من كبده هذه الأفلاذ من الكبد مثل الأسطوان من الذهب والفضة .

(١) الحديث الشريف من الوجوه البلاغية / عز الدين السيد ، ص ١٧ .

(٢) سنن الترمذي / ٤٩٩ ، حديث رقم ٢٢٠٨ .

(٣) التصوير الفني في الحديث النبوي / الصباغ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

وتشبيه الأرض بإنسان تشخيص للأرض في صورة كريمة ، وتقيؤها
أفلاذ كبدها يقوى هذه الصورة ، فالقيء وأفلاذ الكبد من لوازم الحيوان فهي
استعارة مكنية .

وتطالعنا صورة استعارة أخرى في هذا المجال : يقول الرسول صلى
الله عليه وسلم : " من أحيأ أرضاً ميتةً فهي له ، وليس لعرق ظالم حق
(١)"

فالأرض التي لا فائدة فيها شبهت بالميت من ذوي الروح فإذا
استصلحت فانتجت وأفادت أشبهت الحي منه ، فهذا الجزء يصور الأرض
في الحالتين صورتى الميت والحي ، فالمشبه به محذوف وهو الحيوان وقد
اسند وصفان من أوصافه اللازمة إلى المشبه وهو الأرض على سبيل
الاستعارة المكنية ، والوصفان هما " أحيأ وميتة " أما الجزء الثاني من
الحديث يصور الغرس المستتبت في غير ملك الغارس بالإنسان الظالم
الذي يغتصب مكان غيره فلا يحكم له بحق البقاء ، وهذا التصوير
يستوجب اقتلاع هذا الغرس كما يجب بالحكم طرد الظالم من مكان سواه .
فالرسول صلى الله عليه وسلم يشبه العرق المغروس في غير الملك
دون إذن المالك بالإنسان الظالم المغتصب مكان غيره ثم حذف المشبه به
وهو الإنسان ونسب للمشبه وصفه اللازم وهو الظلم على سبيل الاستعارة
المكنية .

(١) سنن الترمذي ، ص ٣٢٦ ، حديث رقم ١٣٧٨ .

ثالثاً : الترشيح والتجريد في الاستعارة :

فيما عرفنا أن الاستعارة تكون على علاقة المشابه بين المستعار له والمستعار منه أو بين المشبه والمشبه به فتقسم الاستعارة باعتبار الملائم إلى ثلاثة أقسام هي : " المطلقة والمرشحة والمجردة ولهذه الأقسام دور فاعل في التصوير البياني كما سيتضح .

وقد يحدث أن يبالغ الأديب في بعض الأحيان في أمر التشابه بين المشبه والمشبه به ، ويمعن في إرادة المعنى الأصلي للمشبه به ، يذكر ما يتصل بهذا المعنى ، ويتلاءم معه حتى يخال المتلقي أن الكلام منصب على هذا المعنى الحقيقي ، وأن ليس الكلام في الأصل على التشبيه ، ويسمى ذلك لدى البلاغيين ترشيحاً للاستعارة أي تقوية لها وتأكيداً وتسمى حينئذٍ الاستعارة مرشحة ^(١) وهي ذكر ما يلائم اللفظ المستعار منه ، أي المشبه به ^(٢).

" والاستعارة المرشحة هي التي تأتي مع القرينة بما يلائم بمعنى التقوية للمشبه به ^(٣) وسميت بهذا الاسم لأن الترشيح بمعنى التقوية للمشبه به فالاستعارة المرشحة أي المقواه تأتي بمعنى يناسب المستعار منه ، مما يبعد أن يخطر التشبيه على البال ليكون ذلك مقوياً للاستعارة ومؤكداً لما عناه المتكلم وقصده من تناسي التشبيه والنزوع إلى المبالغة .

ومن الأمثلة التي وردت فيها الاستعارة مرشحة قوله صلى الله عليه وسلم الذي تقدم ذكره " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء " ^(٤)

(١) مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ٢٠٥ .

(٢) الصورة البيانية / ساهرة عبد الكريم ، ص ٢١٩ .

(٣) البلاغة الاصطلاحية / عبد العزيز قلقيلة ، ص ٦٨ .

^١ سنن الترمذي ، ص ٥٩٣ ، رقم الحديث ٢٦٢٩

ففي هذا الحديث استعارة مكنية مرشحة حيث شبه صلى الله عليه وسلم الإسلام بالإنسان الذي يكون بين غير أهله ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو كلمة غريب ، وإسناد الغربة إلى الإسلام تخييل ، وعلى الرغم مما في الحديث من تشخيص أضاف صلى الله عليه وسلم عبارة " فطوبى للغرباء " وهذا ترشيح للاستعارة .

أما الاستعارة المجردة هي ما ذكر معها ملائم المستعار له أي المشبه وهذا ما نسميه تجريد الاستعارة .

ومن أمثلة الاستعارة المجردة قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء " ^(١) ففي هذا الحديث استعارة مكنية مجردة ، حيث شبه صلى الله عليه وسلم الدنيا بالفاكهة ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي الحلاوة والخضرة ، على سبيل الاستعارة المكنية أما اشتمال النص على ما يلائم المشبه فهو قوله صلى الله عليه وسلم : " وأن الله مستخلفكم فيها ... الخ ، تجريد لأنه من العلامات المميزة للدنيا ، فذلك بمثابة ما يعزرها ويحدد معالمها ، إمعاناً في معرفة ما هيته وإظهار خصوصيتها ، وهذا ما يدعو فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الانتباه إلى حقارتها وضآلتها أمام الدار الآخرة ونعيمها الدائم .

ومن تلك الأمثلة أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم السابق الذكر في الاستعارة المكنية : " ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليها مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ،

^١ سنن الترمذي ، ص ٤٩٦ ، قم الحديث ٢١٩١ .

وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار" (١) .

فقوله صلى الله عليه وسلم : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ... الخ تجريد ، لأنه مما يلائم المشبه وهو الإيمان ، لأن هذه الأمور تعد من أركان الإيمان الأساسية التي بها يعرف .

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم السابق الذكر أيضاً " بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت " (٢) .

من الأحاديث التي اشتملت على التجريد في الاستعارة لأن قوله صلى الله عليه وسلم المفصل لأركان الإسلام يعد تجريداً للاستعارة، لأن هذه الأركان بدءاً من شهادة أن لا إله إلا الله .. الخ، مما يلائم المشبه الذي هو الإسلام وبها يعرف المسلم .

"والأصل في الاستعارة أن تكون مطلقة ، وهي ما خلت من ملائمت المشبه به ، والمشبه ، وهي كذلك ما ذكر معها ما يلائم المشبه به ، والمشبه معاً (٣) .

ويمكن أن نخلص إلى أن أكمل الاستعارات الثلاثة بالنسبة للمفرد ، وأنسبها بمقتضى الحال وأدخلها في البلاغة ، هي الاستعارة المرشحة ، ويلبها المطلقة ، ثم المجردة .

ولا يفوتنا التنبيه على أن الاستعارة التصريحية التي يتأتى معها الترشيح والتجريد إنما هي الاستعارة التي تجرد في المفرد .

١ - سنن الترمذي ، ص ٥٩١ ، حديث رقم ٢٦٢٣ .

٢ - سنن الترمذي ، ص ٥٨٧ ، حديث رقم ٢٦٠٩ .

٣ - علم البيان / عتيق ، ص ١٨٩ .

أما الاستعارة التصريحية في المركب ، وهي ما تسمى بالاستعارة
التمثيلية وقرينتها لا تكون إلا حالية وهذا يعني إنها لا تكون إلا مطلقة
لأنها إما مثل وإما تركيب جرى مجرى المثل .

المبحث الثالث الاستعارة المركبة (التمثيلية)

إن ما تقدم من نوعي الاستعارة التصريحية والمكنية يمثل الاستعارة في المفرد ، أما الاستعارة التمثيلية فإنها تمثل نوع آخر من أنواع الاستعارة ، إذ يجري هذا النوع في التركيب بمعنى إذا كان الجامع في التصريحية والمكنية يحصل في المفردات فإننا في الاستعارة التمثيلية نجده يقع في تركيب استعمل في غير دلالاته الأصلية ، لعلاقة المشابه بين الحالتين ، والشبه يكون فيها منتزعاً من عدة أمور ، أي من حالة أو هيئة وتسمى هذه الصورة بالاستعارة التمثيلية^(١) .

وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن هذه الظاهرة ، حديثاً مستفيضاً ومما جاء في هذا الشأن : " أعلم أنك تجد الاسم وقد وقع في نظم الكلام الموقع الذي يقتضي كونه مستعاراً ثم لا يكون مستعاراً ، وذلك لأن التشبيه المقصود مناط به مع غيره ، وليس له من شبه ينفرد به على ما قدمت لك من الشبه ، يجيء منتزعاً من مجموع جملة من الكلام "^(٢) وثمة إشارة أوضح مما سبق يحدد مدلول الاستعارة التمثيلية وهي قوله : " وإما التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيبك به على أحد الاستعارة فمثل قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه ، أراك تقدم رجلاً وتأخر أخرى "^(٣) ويقول عنه القزويني : " وأما المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تمييز إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور أخرى ، ثم تدخل المشبه في حس المشبه به "مبالغة في التشبيه تذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه " ^(١)

(١) الاستعارة في القرآن الكريم / أحمد فتحي رمضان ، ص ٤٨ .

(٢) أسرار البلاغة / الجرجاني ، ص ٢٣٧ .

(٣) دلائل الإعجاز / الجرجاني ، ص ٥٥ .

(٤) الإيضاح / القزويني ، ٣٠٤/٢ .

إذن الاستعارة التمثيلية هي تركيب استعمل في غير ما وضع له
لعلاقة المشابه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

وتكاد الأمثال كلها تكون استعارة تمثيلية والاستعارة التمثيلية ضرب
من الاستعارة التصريحية ففيها تصرح بالمشبه به المذكور ، ولا فرق بين
الاستعارة التصريحية والتمثيلية إلا أن الاستعارة التصريحية تجري في المفرد
والتمثيلية تجري في المركب .

لذلك لا بد لمن يريدون الاستعارة التمثيلية في الحديث الشريف من
الرجوع إلى كتب الأمثال التي احتوت على أمثال الرسول صلى الله عليه
وسلم والأمثال تمثل حكمة العرب وخلاصة تجاربها ، وإذا كانت الأمثال
بهذه الأهمية فلا غرابة أن تكون أمثال الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر
أهمية وأرفع منزلة وأبلغ حكمة وأنصح بياناً وأكرم معنى لأن مهمته الأولى
والأخيرة توضحية وتعليمية .

ومن أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما ذهب في الناس مثلاً
يوم حنين عندما اشتدت المعركة بين المقاتلين " الآن حمى الوطيس " (٢)
قال الرضي: " وهو يعني حمى الحرب وعظم الخطب مجاز ، لأن الوطيس
في كلامهم حفيرة تحتفر فيوقد فيها النار للاشتواء ، ولا وطيس هناك على
الحقيقة ، وإنما المراد ما ذكرنا من حر القراع وشدة الصراع ، والتفاف
الأبطال ، واختلاط الرجال ، وتشبيهه السيوف وكرب ملابس الدروع ،
وحمى المعترك لشدة العراك وكثرة الحركات والوجه الآخر أن يكون إنما
شبهت بالنار لأنها تأكل رجالها وتقني أبطالها ، كما تأكل النار شعلها
وتحرق حطبها " (١) .

(٢) المجازات النبوية / الشريف الرضي ، ص ٤٤ .

(١) المجازات النبوية / الرضي ، ص ٤٥ .

وهذه ا لعبارة التي شبه الرسول صلى الله عليه وسلم احتدام القتال واشتداد المعركة انفصلت عن معركة حنين ، وأصبحت مثلاً رائعاً يضرب عندما يشتد الصراع بين اثنين من الأفراد أو الجماعات في حرب أو جدال أو رهان أو غيرها يصور بها المتكلم ما أمامه من الأمر صورة نار في وطيس اشتعلت واشتعلت حتى حمى الوطيس فحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به لعلاقة المشابهة على سبيل الاستعارة التمثيلية .

ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " (٢) هذا الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم لأبي عزة الشاعر ، أسره يوم بدر ، ثم من عليه وأطلقه ، وأسر يوم أحدٍ مرة أخرى ، فطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمن عليه ، فأجابه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الحديث .

وهو يشبه أبا عزة بمن لدغ من جحر مرة فشفي وسلم ، ولم يتعظ فيأخذ من الجحر حذره ، فعاد ليلدغ أخرى ، فليس هذا شأن المؤمن ، فكأنه يقول له : إذن فلست مؤمناً ، وإلا لما عودت عذرك الذي أسرت فيه ، فقد أطلقتك من قبل .

هذه صورة معبرة صورت فيها حال هذا الشاعر تصويراً يلجمه ويخجله من نفسه ، ثم اقتطعت هذه الصورة البيانية من الأصل فجرت مثلاً من كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - يضرب في كل ما أشبه مورده ، من معاودة أمر مرة أخرى ، لم يحذر ما أصابه في المرة الأولى .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى " ١

(٢) البخاري : ٣٨/٨ .
١ - المجازات النبوية - الرضي ، ٦٨ .

الرسول صلى الله عليه وسلم معلم حكيم يعرف ما في الدين من يسر ، وما للبدن من حق ، وما للصلاة من واجب كما يعلم أن النفس إذا أكثرت في شيء تمل وأن العبادة مهما اتصلت لا تفي بحق المعبود، وأنه سبحانه الرحمن الرحيم الرؤوف .

" أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يرفق بنفسه في عبادة ربه ، فإنها كالمحيط الممتد كلما أوغل السابح فيه لا يرى للبر ظلاً فتأخذ قلبه الوسوس وتملك نفسه الهواجس ، وتبعد عنه الغاية ، وتضطرب عنده النهاية ، ويحسب نفسه من المفارقين ، ولا يشعر في همه ببرد اليقين ."^(١)

لذلك جسم النبي - صلى الله عليه وسلم - الدين بإسناد المتانة إليه ، والمتانة هي الصلابة والشدّة ، وكأنه صلى الله عليه وسلم يشبه الدين في شدته وكثرة مصاعبه ، واتساع مداه بالطريق الطويل الصعب على السالك الذي مهما جد لا يقطعه ، ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم أن يوغل فيه المؤمن رقيقاً ، يجدد قواه من مرحلة إلى مرحلة ، بفترات من الراحة ، ولا يكلف ظهره أكثر من الطاقة ، ليبقى ذلولاً إلى أن يكون من أمر الله ما يكون ، وليقرر هذا المعنى، ويقنع به ، ضرب له مثلاً بحال الإنسان في السفر الطويل ، ينقطع عن الركب ، وينفرد عن الصاحب ، إثارةً للسبق في الوصول ، فيجهد مطيته إجهاداً يقتلها أو يكاد . فإذا به منفرداً غريباً لا استبقى ظهراً يسنده ورفقه " ، ولا بقى براً يأنس بالرفقة وهذا فيما يبدو دقة متناهية في التصوير البياني^(٢) .

ومما تقدم فقد أصبحت عبارة المشبه به مثلاً رائعاً يضرب في كل حال تشبه مورده في أمور الدين والدنيا فينصح المستعجل والشاق على

^١ - الحديث النبوي من الوجهة البلاغية / عز الدين السيد ، ص ١٨٢ .
^٢ - الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، عز الدين السيد ص ١٨٣

نفسه، مثل ذلك بهذا الجزء من الحديث " إن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى " فقد حذف المشبه ، وأقام المثل مقامه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

ومن تلك الأمثلة أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " مات حتف أنفه " ^١ قال فيه الشريف الرضي : جعل الحنف لأنفه خاصاً وهو له عاماً لأن الميت على فراشه من غير أن يعجله الموت ، إنما يتنفس شيئاً فشيئاً حتى ينقضي دماؤه بقيمة روحه ، وتفتى نفسه ، فخص عليه الصلاة والسلام الأنف بذلك لأنه جهة لخروج النفس ، وحلول الموت ، ولا يكاد يقال ذلك في سائر الميتات حتى تكون الميتة ذات مهلة وتكون النفس غير معجلة ، فلا يستعمل ذلك في الميتة بالغرق ، والهدم ، وجميع فجاءة الموت ، وإنما يستعمل في العلة المطاولة والميتة المطاولة ، وروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : " ما سمعت كلمة عربية من العرب ، إلا وقد سمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمعه يقول : " مات حتف أنفه " وما سمعتها من عربي قبله . (٢)

فالحديث أصبح مثلاً يصلح أن يضرب لكل من مات على فراشه ، ولم يعجله الموت ، فقد حذف المشبه ، وأقام المثل مقامه ، على سبيل الاستعارة التمثيلية .

^١ - المجازات النبوية ، ص ٦٨ .
^٢ - انظر المجازات النبوية ، ص ٦٨+٦٩ .

الفصل الثالث
المجاز
وفيه مبحثان
الأول : الحقيقة والمجاز .
الثاني : المجاز المرسل .

المبحث الأول

الحقيقة والمجاز

اللغة هي أصوات يعبريها كل قوم عن أغراضهم ^(١) وهي مرتبطة بتطور المجتمع والفكر الإنساني ولذلك نجد لغات الشعوب المتطورة متقدمة على غيرها في مفرداتها واستعمالها .

واللغة العربية نشأت كغيرها من اللغات لتسد حاجة المتكلمين بها. وكانت في أول أمرها مقتصرة على الألفاظ الوضعية التي عبرت عما أحاط بالعربي في بيئته ثم تطورت بتطوره خلال العصور المختلفة . والكلمة حينما توضع لتدل على شيء معين تسمى حقيقة ، وهي (فعيلة) بمعنى (مفعولة) ، واشتقاقها من (حقق الشيء - يحققه) إذا أثبتته ، أو من (حقق الشيء - أحقه) إذا كنت منه على يقين . ولذلك فهي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة ^(٢) .

أولاً : الحقيقة تعريفها وأقسامها :

تعريفها:

وللحقيقة تعريفات كثيرة منها تعريف ابن فارس الذي قال بأنها (الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير) ^(٣) . وقال ابن جني : (الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ^(٤))

وقال عبد القاهر : (كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح ، وإن شئت قلت في مواضعه وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة)

^١ - الخصائص / لابن جني، ج ١ ص ٣٣

^٢ - فنون بلاغية / احمد مطلوب ، ص ٧٩ .

^٣ - الصحابي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها / لابن فارس ، تحقيق . د. مصطفى الشويبي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت سنة ١٩٦٣ م ، ص ١٩٧

^٤ - الخصائص ، ج ٢ ص ٤٤٢

(١) .وقال ابن الأثير : (فأما الحقيقة فهي : اللفظ الدال على موضوعه الأصلي) (٢) وقال السكاكي : (فالحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع ، كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص) فلفظ (الأسد) موضوع له بالتحقيق ولا تأويل فيه ثم قال: ولك أن تقول : الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص (٣) .

وقال القزويني : (الحقيقة: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب (٤) . وذكر العلوي أن أجمع تعريف في بيانها ما ذكره أبو الحسين البصري فإنه قال : (ما أفاد معنى مصطلحا عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب (٥) .

وهذه التعريفات وغيرها تؤدي إلى أمر واحد وهو أن الحقيقة استعمال اللفظة في وضعها الأول بحيث لا يتبادر الذهن إلى غير ذلك حينما تطلق كاستعمال (القلم) للدلالة على الكتابة ، واستعمال (القمر) للدلالة على الكوكب المعروف (٦) .

١ - أسرار البلاغة / الجرجاني ، ص ٣٢٤

٢ - المثل السائر / ابن الأثير ، ج ١ ص ٥٨

٣ - مفتاح العلوم / السكاكي، ص ١٦٩ - ١٧٠

٤ - الأيضاح / القزويني ، ص ٢٦٥

٥ - الطراز التضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز / يحيى بن حمزة العلوي ، الطبعة الأولى دار الكتب الخديوية ، القاهرة ، سنة

١٩١٤ م ج ١ ص ٤٧

٦ - فنون بلاغية / احمد مطلوب ص ٨١

أقسامها :

وقسموا الحقيقة الى ثلاثة أقسام (١)

١- الحقيقة اللغوية : وهي ما وضعها واضع اللغة ودلت على معانٍ مصطلح عليها في تلك المواضيع كألفاظ القلم والكتاب والقمر والشمس . فإذا استعملت في معناه الأصلي فإنها تكون حقيقة . وإذا استعملت في غيره فإنها تكون مجازاً .

الحقيقة العرفية : وهي التي نقلت من مسماها اللغوي إلى غيره بعرف الاستعمال ، وذلك الاستعمال قد يكون عاماً وقد يكون خاصاً . وتتحصر الحقيقة العرفية في صورتين :

الأولى : أن يشتهر استعمال المجاز بحيث يكون استعمال الحقيقة مستتكرًا كحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، مثل (حرمت الخمر) والتحریم مضاف إلى الخمر ، وهو في الحقيقة مضاف إلى الشرب . وقد صار هذا المجاز أعرف من الحقيقة وأسبق إلى الفهم .

وكتسميتهم الشيء باسم ما تعلق به كتسميتهم قضاء الحاجة بـ(الغائط) وهو المكان المطمئن من الأرض ، فإذا أطلق فإن السابق إلى الفهم منه مجازه وهو قضاء الحاجة دون حقيقته وهو المكان المطمئن . فصارت هذه الأمور المجازية حقائق بالتعارف من جهة أهل اللغة تسبق إلى الأفهام معانيها دون حقائقها الوضعية اللغوية .

والثانية: قصر الاسم على بعض مسمياته وتخصيصه به

نحو لفظ (الدابة) فإنها جارية في وضعها اللغوي على كل ما يدب من الحيوانات من الدودة إلى الفيل ، ثم أنها اختصت ببعض البهائم وهي ذوات الأربع من بين سائر ما يدب بالعرف اللغوي . ونحو لفظة (الجن) و (القارورة)

^١ - ينظر مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ١٧٠

(فإن الأول موضوع لكل ما استتر ، والثاني موضوع لمقر المائعات . ثم
اختص (الجن) ببعض الآنية دون غيرها مما يستقر فيه .

الحقيقة الشرعية : وهي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها
لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي . وهي قسمان :
الأول : أسماء شرعية ، وهي التي لا تفيد مدحاً ولا ذمّاً عند إطلاقها
كالصلاة والزكاة والحج وسائر الأسماء الشرعية .

الثاني : أسماء دينية ، وهي التي تفيد مدحاً أو ذمّاً نحو مسلم ومؤمن وكافر
وفاسق . ولا يعنى البلاغيون بالحقيقة وأقسامها كثيراً ، وإنما تنصب عنايتهم
على المجاز وأساليبه لأنه هو الذي تتفاوت فيه الأفهام ولأنه واسع الخطو
فسيح المدى يصل فيه الأدباء ويجولون ويتصرفون فيه كل التصرف في
حين لا يقدرون أن يخرجوا على الحقيقة خروجاً واضحاً ، مرتبطة بالوضع
الأصلي ومقيدة بالمعجم الذي يحدد أبعادها .

المجاز تعريفه وأقسامه :

المجاز فن قديم عرفه المتقدمون واستعملوه في كلامهم بعد أن تطورت اللغة
ألفاظها الوضعية وأصبحت تضيق بالمعاني الجديدة .

ولذلك يرى بعض البلاغيين أن المجاز علم البيان بأجمعه وأنه أولى
بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة ، لأن العبارة المجازية
تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحوال حتى أنه ليسمح بها
البخيل ويشجع الجبان (١) .

وأختلف في وقوعه في القرآن والجمهور على الوقوع ، وأنكره جماعة
منهم - ابن القاص من الشافعية ، وداد الظاهري ، وابنه ، وأبي مسلم
الأصبهاني - وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا

^١ المثل السائر ، ج ١ ص ٥٧

ضاققت به الحقيقة فيستعير ، وهو مستحيل على الله سبحانه . وهذا باطل ، ولو وجب خلوالقرآن من المجاز سقط شطر الحسن (١)

وكان ابن قتيبة قد أشار إلي ذلك منذ عهد مبكر فقال: ((وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذب، لأن (الجدارلايريد) و(القرية لاتسأل) (٢) وهذا من أشنع جهالاتهم و أدلها علي سوء نظرهم وقلة أفهامهم . ولو كان المجاز كذباً وكل فعل ينسب إلي غير الحيوان باطلاً كان أكثر كلامنا فاسداً لأننا نقول (نبت البقل) و(طالت الشجرة) و(أينعت الثمرة) و(أقام الجبل) و(رخص السعر) (((٣) .

أما في كلام العرب فقد ذهب إلي أن الكلام كله حقيقة ، وذهب آخرون إلي أن الكلام كله مجاز لا حقيقة فيه .وفند ابن الأثير هذين الرأيين ، وقال : ((وكلا هذين المذهبين فاسداً عندي)) (٤) ، لأن الحقيقة هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على معانيها ، وليست هي بالحقيقة التي هي ذات الشيء أي نفسه، والحقيقة اللفظية هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في اللغة ، والمجاز هو نقل اللفظ عن المعنى الموضوع له إلى معنى آخر (٥) .

وقال العلوي : ((إن من الناس من زعم أنا اللغة كلها حقيقة وأنكر المجاز وزعم أنه غير وارد في القرآن ولا في الكلام . ومنهم من زعم أن اللغة كلها مجاز وان الحقيقة غيرمحققة فيها . وهذان المذهبان لا يخلوان من فساد ،فإنكار الحقيقة في اللغة إفراط ، وإنكار المجاز تفريط ، فإن

١ - البرهان في علوم القرآن / للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضلابراهيم ، دار الكتب العربية ، عيسالباي السحلي وشركاه سنة ١٩٥٧ م ، ج٢ ص ٢٥٤

٢ - ششير إلي قوله تعالى : (فاطلقا حتى أتيا أهل قرنة استطعما أهلها فأتيا أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا) سورة الكهف الآية (٧٧) وإلي قوله تعالى : (اسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقتلنا فيها وأنا لصادقوت) سورة يوسف الآية (٨٢)

٣ - تأويل مشكل القرآن / لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد الصقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٩٩

٤ - المثل السائر / ابن الاثير ، ج ١ ص ٥٩ .

٥ - فنون بلاغية / امحد مطلوب ، ص ٨٦

المجازات لا يمكن دفعها وإنكارها في اللغة ،فإنك تقول ((رأيت الأسد))
وغرضك الرجل الشجاع ،وقوله تعالى : (واسأل القرية)^(١) ، (واخفض
لهما جناح الذل)^(٢) إلى غير ذلك . ولا يمكن إنكار الحقائق كإطلاق
الأرض والسماء علموضوعيهما ،وأيضاً فإنه إذا تقرر المجاز وجب
القضاء بوقوع الحقائق لأنه من المحال أن يكون هناك مجاز من غير
حقيقة . فإذا بطل هذا القول فالمختار هو الثالث ،وهو أن اللغة والقرآن
مشتملان على الحقائق والمجازات جميعاً فما كان من الألفاظ مفيداً لما
وضع له في الأصل فهو المراد بالحقيقة ، وما أفاد غير ما وضع له في
أصل وضعه فهو المجاز))^(٣) .

تعريفه:

جاء في لسان العرب (جزت الطريق وجاز الموضع جوازاً ومجازاً،
وجاز به وجاوزه وأجازه غيره وجاهه : سار فيه وسلكه . وجوزت الموضع
جوازاً بمعنى جزته . والمجاز والمجازة: الموضع))^(٤) .

فالمجاز اسم للمكان الذي يجاز فيه، وحقيقته هي الانتقال من مكان
إلي مكان . وأخذ هذا المعنى واستعمل للدلالة على نقل الألفاظ من معنى
إلي آخر ، وعرفوه تعريفات كثيرة فقال ابن جني وهو يعرف الحقيقة
بأنها ((ما أقرب في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز ما كان
بضد ذلك))^(٥) .

وقال عبد القاهر : ((المجاز مفعول من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا
عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم

^١ -سورة يوسف ، الآية (٨٢) ، وتكلمتها (واسأل القرية التي كنا فيها والقرية التي أقبلنا فيها وأنا لصادقون)
^٢ - سورة الاسراء الآية (٢٤) ، وتكلمتها (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا)
^٣ - الطراز ، ج ١ ص ٤٤
^٤ - لسان العرب/ ابن منظور مادة(ج ا ز).
^٥ -الخصائص/ ابن جني ، ج ٢ ص ٤٤٢

جازوا به موضعه الأصلي أوجاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً)) (١)
وقال : ((وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها
لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز . وإن شئت قلت :كل كلمة جرت
بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف
فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في
وضع واضعها فهي مجاز)) (٢) وقال : (أما المجاز فقد عول الناس في
حده على حديث النقل ، وأن كل لفظ نقل عن موضعه وهو مجاز) (٣) .
وقال السكاكي : ((المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي
موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة
مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع)) (٤)

وهذه تعريفات أصحاب المعاني والبيان . أما البديعيون فقالوا في تعريفه
: ((المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث يأتي المتكلم إلى اسم موضوع
لمعنى فيخصه إما أن يجعله مفرداً بعد أن كان مركباً أو غير ذلك من وجوه
الاختصاص)) (٥) .

أقسامه:

تحدث البلاغيون والنقاد عن المجاز في كتبهم ،وعندما وضع عبد
القاهر الجرجاني كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) أخذ المجاز
منزلته واستقرت قواعده وأصوله ، وقسمه إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي
وفرق بينهما ،وقال :((إنه إذا وقع في الإثبات فهو متلقى من العقل ،وإذا
عرض في المثبت فهو متلقى من اللغة)) (٦)

١ - أسرار البلاغة/الجرجاني ، ص ٣٥٦

٢ - أسرار البلاغة / الجرجاني ص ٣٢٥

٣ - دلائل الإعجاز / الجرجاني ، ص ٥٣

٤ - مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ١٧٠

٥ - خزائن الأدب وغاية الأرب / لابن حجة الحموي ، مكتب البيان ، بيروت ، د.ت، ص ٤٣٦

٦ - أسرار البلاغة / الجرجاني ، ص ٣٤٤ .

وقد قسم الجرجاني المجاز الى قسمين :

١- لغوي ،وهو عنده نوعان :

الأول :يقوم على المشابهة ،وهو مايسمى بالاستعارة .

الثاني : لا يقوم على المشابهة وأن يكون (لصلة وملابسة بين ما نقلها

اليه وما نقلها عنه) وهو مايسمى بالمجاز المرسل .

٢- عقلي : وهو الذي يعتمد على الاسناد (١).

وقسمه القزويني (٩٣٧ هـ) إلى مفرد ومركب ، وقال عن المفرد :

"أما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به

التخاطب علي وجه يصح مع قرينة عدم إرادته " (٢). وقال عن المركب :

" وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه

الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه " (٣) . وهو التمثيل على سبيل

الاستعارة ، ثم قسم المجاز إلى مرسل واستعارة . وأوضح تقسيم انتهى إليه

البلاغيون هو تقسيم المجاز إلى :

١- عقلي .

٢- لغوي ، وهو قسمان : المرسل والاستعارة (٤) .

١- انظر فنون بلاغية / احمد مطلوب ، ص ٩٣ .

٢- الايضاح / القزويني ، ص ٢٦٨ .

٣- السابق ، ص ٣٠٤ .

٤- انظر فنون بلاغية ، أحمد مطلوب ، ص ٩٥ .

المبحث الثاني

المجاز المرسل

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناه الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي (١). وسمى مرسلًا لأنه غير مقيد بعلاقة واحدة، بل هو مرسل متعدد العلاقات (٢). ومثاله قوله تعالى: (واركعوا مع الراكعين) (٣). فالركوع أصلاً، حركات وتلاوات عبادية، تؤدي كجزء من الصلاة ولكنها هنا، استعملت مجازاً، بمعنى الصلاة نفسها، كما استعمل لفظ (الراكعين) بمعنى المصلين والعلاقة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، علاقة الجزء بالكل. وذكر الجزء وقصد الكل.

علاقات المجاز المرسل:

للمجاز المرسل علاقات كثيرة، منها: السببية والمسببية والجزئية والكلية والمحلية والآلية... (٤).

السببية:

وذلك بان يطلق لفظ السبب، ويراد المسبب ومن أمثله (اليد) إذا استعملت في النعمة لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة، وبواسطتها تصل إلى المقصود بها، ويجب أن يكون في الكلام دلالة على رب تلك النعمة، ومصدرها، وينسبها إليه (٥).

١ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع / السيد احمد الهاشمي، ص ١٧٨ .
٢ - البلاغة العربية (البيان والبديع) / دكتور وليد قصاب، الطبعة الاولى، سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، دار القلم للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، دبي، ص ١١٤ .
٣ - سورة البقرة، الآية (٤٣) . تكلمتها (واقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) .
٤ - انظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص ١٧٨ - ١٨١ .
٥ - البلاغة الغربية (البيان والبديع) / وليد قصاب، ص ١١٦ .

ومن هذا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأزواجه :
((أسرعن لحوقاً بى أطولكن يداً))^(١) . فالمراد بسط اليد بالعطاء
والبذل . والحديث أنهن لما سمعنا منه صلى الله عليه وسلم هذا القول
جعلن يتزارعن^(٢) ينظرن أيهن أطول يداً إلى أن توفيت زينب بنت
جحش وكانت كثيرة المعروف ، فعلمن حينئذ أنه عليه الصلاة والسلام
إنما أراد بطول اليد كثرة البر وبذل العطاء وكنى صلى الله عليه وسلم
عن ذلك بطول اليد لأن اليد هي التي تعطي .

وقال الشريف الرضي ((إن فيه كناية - يعني الحديث السابق -
كنى بطول اليد عن كثرة العطايا ، لأن كثرة العطاء تستلزم كثرة مد اليد
، وكثرة مد اليد تستلزم طولها ، لأنها في أكثر أحيائها ممدودة ، فتكون
يد المعطي أطول من أيدي غيره وهو طول نسبي))^(٣) . ومثله قول
الآخر :

له أيادٍ علي سابعة *** أعد منها ولا أعددها

وعبر الشاعر عن كثرة النعم عليه من الممدوح بلفظة الأيادي التي
مفردها اليد مجازاً آخذاً في الاعتبار العلاقة بين اليد والنعم ، فاليد سبب
منح النعم لهذا سميت العلاقة سببية^(٤) .

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن أبى بكر الصديق
رضى الله عنه : ((ما لأحد عندنا يد إلا كافيناها ما خلا أبابكر فإن له
عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفني مال أحد قط ما

^١ - البخارى ، ج ٢ ص ١٣٧ .
^٢ - يتزارعن : أى يقسن أنزعهن ليرين أى الايدى اطول ، وفى البخارى : فأخذنا قصبه (قطعة من البوص يقسن بها ايدهن . والمعنى
أن نساءه صلى الله عليه وسلم فهمن من طول اليد الطول الحسى لا الطول المعنوى ، وهو الكرم وبذل المعروف .
^٣ - الجازات النبوية / الشريف الرضى ، ص ٦٧ .
^٤ - علم اساليب البيان / الدكتور غازى يموت ، دار الفكر اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٥ م ص ٢١٨

نفعني مال أبي بكر ،ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ،ألا
وإن صاحبكم خليل الله .)) (١)

وهذا الحديث يوضح عظم مكانة أبي بكر الصديق عند الله ، ففي
قوله (ما لأحد عندنا يد) اليد المقصود بها نعمة ، وقوله (فإن له عندنا
يد) يعنى نعمة ،وهذا واضح من قوله : وقد كافيناه . وقوله : يكافئه
الله بها يوم القيامة . والعلاقة بين النعمة واليد ، أن اليد سبب في النعم
فأطلق السبب وأراد المسبب فالعلاقة السببية .

والحديث يبين المكانة السامية والعظيمة لأبي بكر الصديق ومكانته
في الإسلام ، وكلنا يعلم الدور الذي قام به أبوبكر الصديق تجاه هذا
الدين ، فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء .
الجزئية :

وذلك بأن يطلق لفظ الجزء ، ويراد به الكل ومثاله قوله تعالى :
(فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن) (٢) . تتحدث الآية عن
أم موسى عليه السلام حين كان في كنف فرعون وليداً ، فأعاده الله عز
وجل إليها كي تفرح ، ويطمئن قلبها ، وتهداً جوارحها وتقر نفسها
وتطيب بذلك الرجوع .

لكن الآية لم تشر إلى هذا الاطمئنان الذي يصيب من الأم كامل
كيانها ، واكتفت بذكر سرور العين واطمئنانها ، دون سواها : وما ذلك
إلا على سبيل المجاز ، والعين جزء من جوارح الإنسان لا يقتصر عليها
الفرح وأماني ، وهذا الجزء به ترى أم موسى وليدها الصغير تفرح ،
ويخلو من الحزن قلبها . ولما كان للعين هذه الأهمية وهي جزء من

^١ - سنن الترمذي حديث رقم ٣٦٦١ ص ٨٣٢ .
^٢ - سورة طه الآية ٤٠ . (إذ تمشى اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله ، فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً
فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبست سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى) .

الكل ، فقد نابت منابه ، وذكرت مكانه ، وإنما المقصود حقيقة (الإنسان) فالفرح فرحه ، والاطمئنان اطمئنانه .

ومما جاء من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (عيان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله) (١) . والحديث يوضح أهمية الخوف من الله وطلب عفوه ، ورجائه ، وذكر الله الدائم ، علنا نفوز برضاه ، فمن كانت هذه صفته فسينجو من نار الله بفضلته وعفوه ، فالذي لا تمسه النار الذاكر ذاته وليس عينه فقط ، وكذلك سيجد هذا الجزء أيضا الذي يحرس في سبيل الله ، وهذان الشخصان لم تمسهما النار كما وضح لنا رسول الله فمن نجت عينه فإنه ناج ، ونلاحظ هنا أنه صلى الله عليه وسلم أطلق الجزء ، وأراد الكل فالعلاقة الجزئية .

ومن علاقات الجزئية أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : (أشعر كلمة تكلمت بها العرب قول لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل) (٢) وهنا أطلق الكلمة ، وأراد الكلمات ، فأطلق الكل ، وأراد الجزء فالعلاقة الجزئية .

ومما جاء في الركعتين إذا جاء الرجل والإمام يخطب : قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر لرجل جاء ولم يصل : (قم فاركع) (٣) . المقصود بقوله فاركع صل فاطلق الركعة وأراد الصلاة أي أطلق الجزء وأراد الكل فالعلاقة جزئية .

ومن ذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأحد الأنصار وقد جعل امرأته عليه كظهر أمه حتى يمضى رمضان ووقع عليها ليلاً لما

١ - سنن الترمذى / حديث رقم ١٦٣٩ ص ٣٨٥ .

٢ - سنن الترمذى / حديث رقم ٢٨٤٩ ص ٦٣٧ .

٣ - سنن الترمذى / حديث رقم ٥١٠ ص ١٣٤ .

مضى عليه نصف رمضان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (اعتق رقبة) (١) . فأطلق الرقبة ، وأراد عبداً فالعلاقة الجزئية .
الكلية :

وذلك بأن يطلق لفظ الكل ، ويراد به الجزء . ومثاله قوله تعالى : (قال رب إنى دعوت قومي ليلاً ونهاراً ولم يزدتهم دعائي إلا فراراً وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم) (٢) . فالأصبع لا يوضع كله في الأذان ، وإنما طرفه فحسب . ففي هذه الآية أطلق لفظ الكل وأراد به الجزء ، فأصابعهم مجاز مرسل علاقته الكلية و مما جاء مثل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم واصف أهل اليمن : (أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية) (٣) . ففي قوله (أتاكم أهل اليمن) مجاز مرسل علاقته الكلية ، لأن أهل اليمن لم يأتوا كلهم ، إنما قصد الذين جاءوا إليهم ، فأطلق الكل وأراد الجزء فالعلاقة الكلية .
اعتبار ما كان :

وذلك بأن يطلق اللفظ الذي يدل على ما كان الأمر عليه ، والمراد ما هو عليه في الحاضر . ومن أمثله قوله تعالى : ((إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جنهم لا يموت فيها ولا يحيى)) (٤) . فسماه . عز وجل . مجرمًا ، باعتبار ما كان عليه في الحياة الدنيا من إجرام ومن أمثله أيضاً قوله تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم) (٥) فاليتيم لغة ، الذي مات أبوه، فهو يتيم حتى يبلغ ، فإذا بلغ ، لم يعد يسمى يتيمًا (٦)

١ - سنن الترمذى حديث رقم ١٢٠٠ ص ٢٨٥ .

٢ - سورة نوح الايات ٥ ، ٦ ، ٧ ،

٣ - سنن الترمذى حديث رقم ٣٩٣٥ ص ٨٨٢ .

٤ - سورة طه، الآية (٧٤)

٥ - سورة النساء، الآية (٢) . تاملتها (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ، أنه كان حزبا كبيرا) ١ .

٦ - لسان العرب / ابن منظور ، مادة (ب ت م)

فالمقصود بالآية ليس الصغار غير البالغين ممن فقدوا آباءهم ، كما يشير المعنى اللغوي الحقيقي ، لأن هؤلاء لا يحسنون إدارة أموالهم ، ولا يملكون من الخبرة والحكمة ، ما يؤهلهم للسهر على مصالحهم ، وإنما المقصود بذلك ، من بلغ سن الرشد منهم ، وصار مؤهلاً لرعاية نفسه رعاية طيبة ، وإدارة شؤون مصالحه إدارة جديدة . فاستعمال كلمة (اليتامى) إنما كان على سبيل المجاز المرسل ، والعلاقة هي اعتبار ما كان .

المحلية :

وذلك بأن يطلق لفظ المحل ، ويراد به الحال فيه . ومن أمثلة هذه العلاقة ، قوله تعالى : (فليدع ناديه ، سندع الزبانية) (١) فأطلق لفظ النادي ، وهو محل للاجتماع ، ولكن المراد به ، هم الناس الذين ينزلون في هذا المحل .

مما جاء كذلك قوله صلى الله عليه وسلم مبيناً فضل أهل الشام كما روى زيد بن ثابت قال : ((كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طوبى للشام) فقلنا : لأي ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها) (٢) . فأطلق الرسول صلى الله عليه وسلم المحل وهو (الشام) ، وأراد أهلها فالعلاقة المحلية .

ويشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (فيما سقت السماء والعيون العشر ، وفيما سقي بالأنضح نصف العشر) (٣) . ففي قوله : (سقت السماء) مجاز مرسل لأن السماء لا تسقي ، إنما يسقي المطر

١ - سورة العلق ، الآية ١٧ - ١٨ .
٢ - سنن الترمذى حديث رقم ٣٩٥٤ ص ٨٨٥ .
٣ - سنن الترمذى حديث رقم ٦٣٩ ص ١٦١ .

الذي من السماء فأطلق عليه السلام المحل ، وهو السماء ، وأراد الحال فيه وهو المطر فالعلاقة المحلية .

الآلية :

وذلك بأن يطلق اسم الآلة ويراد به الأثر الذي ينتج عنها ، نحو قوله تعالى : (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) (١) . فذكرت الآية الآلة ، وهي اللسان ، والمراد ماينتج عن اللسان ، وهو الكلام أي : واجعل لي ذكراً جميلاً بعدي ، أذكر به ، ويقتدي بي في الخير فاللسان مجاز مرسل علاقته الآلية .

مما جاء مشابهاً لذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله أصحابه عن أفضل المال قال : (أفضله لسان ذاك ، وقلب شاكر ، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه) (٢) . فاللسان آلة الذكر ، والعلاقة الآلية .

بلاغة المجاز المرسل :

المجاز المرسل ، ضرب من التوسع في أساليب اللغة ، وفن من فنون الإيجاز . ومن جهة التوسع نرى اللفظ ينقل من مدلوله الأصلي ، إلى مدلول جديد ، فيبعث على التأمل ، ويستشير الخيال والتفكير ، ويشرع للمعاني آفاقاً عريضة ، ترتاح لها النفس ، ويستسيغها الذوق ، لما فيها من توسيع اللغة ، وافتتان في التعبير ، وإيراد المعنى الواحد بصور مختلفة (٣) .

^١ -سورة الشعراء ، الآية ٨٤

^٢ - سنن الترمذي حديث رقم ٣٠٩٤ ص ٦٩٤

^٣ -علم أساليب البيان / الدكتور غازيموت ، ص ٢٣١

ويفيد المجاز المرسل المبالغة ، كما في قوله تعالى : (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق)^(١) ويقصد بالأصابع الأنامل ، وجاء إطلاق لفظ الأصابع في هذه الآية دلالة على شدة رعب القوم وعظم خوفهم ، ويحقق المجاز المرسل الإيجاز في القول ، وهو من أساليب البلاغة التي تعبر عن المعاني الكثيرة ، بالكلام القليل كما في قوله تعالى (واسأل القرية التي كنا فيها)^(٢) .

من هنا فضل أهل البلاغة المجاز على الحقيقة ، ورأوا أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة ، في باب الفصاحة والبلاغة ، لأنه لولم يكن كذلك ، لكانت الحقيقة أولى منه ، وليس الأمر كذلك ، لأنه قد ثبت وتحقق ان فائدة الكلام الخطابي ، هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير ، حتى يكاد ينظر إليه عياناً^(٣) .

وأعجب ما في العبارة المجازية ، إنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي - في بعض الأحوال - حتى أنها ليتشجع بها الجبان ، ويحكم بها الطائش المتسرع ، ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة ، حتى إذا قطع عنه ذلك الكلام ، أفاق وندم على ما كان منه ، من بذل مال ، أو ترك عقوبة ، أو إقدام على أمر مهول ، وهذا هو فحوى السحر الحلال ، المستغنى عن إلغاء العصا والحبال^(٤) . فالمجاز أسلوب بيان ساحر ، للتعبير المبدع الجميل .

^١ -سورة البقرة الآية ١٩ .وتكلمتها (او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)

^٢ - سورة يوسف الآية ٨٢ . وتكلمتها (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا عليها وإنا لصادقون)

^٣ - علم اساليب البيان / الدكتور غازي يموت . ص ٢٣٢

^٤ - المثل السائر/ابن الأثير ، ج ١ ص ٦٢- ٦٣ .

الفصل الرابع

الصورة الكنائية

وتشتمل علي مبحثين :

المبحث الأول : مفهوم الكناية ودورها في التصوير البياني .

المبحث الثاني : أقسام الكناية .

المبحث الأول

مفهوم الكناية

الكناية في اللغة هي : أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، قال الفيروز أبادي في تعريفها " الكناية مصدر كنى به عن كذا يكنى ويكنو كناية : تكلم بما يستدل به عليه أو أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، أو بلفظ يجاذبه جانباً حقيقة ومجاز "(١) .

وقال الخليل بن أحمد: " كنى فلان يكنى عن كذا وعن اسم كذا : إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه ، نحوك الجماع والغائط والرفث ونحوه "(٢) .

وجاء في معجم مقاييس اللغة : " الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره ، يقال كنىت عن كذا : إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه وكنوت أيضاً ، ومما يوضح هذا قول القائل :
واني لأكنو عن قذور^(٣) بغيرها وأعرب أحياناً بها فأصاح
ألا تراه جعل الكناية مقابلة للمصارحة^(٤) .

قال ابن منظور : " الكنية على ثلاثة أوجه أحدها : أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره ، والثاني : أن يكنى الرجل باسم توقيراً وتعظيماً ، والثالث : أن تقوم الكنية مقام الاسم فتعرف صاحبها بها .والكناية : أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وكنى عن الأمر بغيره ، يكنى كناية ، يعني : إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه ، نحو : الرفث والغائط ونحوه^(٥) .
أما الكناية في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة من أبرزها :
- تعريف عبد القاهر الجرجاني " ت ٤٧١هـ " .

(١) القاموس المحيط / الفيروز أبادي ، ص ١٣٣٥ مادة كنى .

(٢) العين مادة " كنى " ٤/٥

(٣) قذور : اسم امرأة .

(٤) معجم مقاييس اللغة / أحمد بن فارس مادة " كنو " ١٣٩/٥ .

(٥) لسان العرب / ابن منظور ، مادة " كنى " ٢٣٣/١٥ .

حيث عرفها بقوله : " والمراد بالكناية هاهنا : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تالية وردفه في الوجود فيوميء به إليه فيجعله دليلاً عليه . مثل ذلك قولهم : " هو طويل النجاد " يريدون : طويل القامة وكثير رماد القدر "يعنون: كثير القرى " وفي المرأة نؤوم الضحى " والمراد أنها مترفة مخدومة" (١) .

وقد أشار الدكتور أحمد مطلوب بتعريف عبد القاهر الجرجاني للكناية حيث قال : " وليس في كتب البلاغة المتأخرة أكثر مما ذكره عبد القاهر عن الكناية ، وكل ما فعله السكاكي والقزويني وشراح التلخيص أنهم رتبوا ما في " دلائل الإعجاز " وقسموها إلى : الكناية عن الصفة ، والكناية عن الموصوف ، والكناية عن النسبة وهي تقسيماته (٢) .

- تعريف السكاكي " ت ٦٢٦ هـ " .

أما السكاكي فقد عرفها بقوله : " الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك ، كما تقول : " فلان طويل النجاد " لينتقل منه إلى ما هو ملزومة وهو طويل القامة " (٣) .

تعريف الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) .

عرف القزويني الكناية بقوله : " الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ كقوله: فلان طويل النجاد " أي طويل القامة " (٤) .

(١) دلائل الإعجاز / ص ٦٦ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني : " بلاغته ونقده " أحمد مطلوب ، ص ١٦٠ .

(٣) مفتاح العلوم / السكاكي ، ص ٤٠٢ .

(٤) الإيضاح / القزويني ٣٣٠/٢ .

دور الكناية في التصوير البياني :

الكناية وادٍ من أودية البلاغة ، وطريق جميل من طرق التعبير الفني ، ووسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع ، وهي فن من فنون البيان ، وطريق من طرق التصوير ، ومسلك من مسالك الخيال في البلاغة العربية .

يقول الثعالبي - متحدثاً عن فوائد الكناية في مقدمة كتابه : " الكناية والتعريض " إن هذا الكتاب خفيف الحجم ، ثقيل الوزن ، صغير الجرم ، كبير الغنم في الكنايات عما يستهجن ذكره ، ويستقبح نشره ، أو يستحي من تسميته ، أو يتطير منه ، أو يترفع ويتصوت عنه بألفاظ مقبولة تؤدي المعنى ، وتفصح عن المغزى ، وتحسن القبيح - وما ذلك إلا من خصائص البلاغة ، ونتائج البراعة ولطائف الصناعة " (١).

ويقول عبد القاهر عن بلاغة الكناية : " قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح وأن للاستعارة مزية وفضلاً ، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة " (٢) .

ثم يوضح عبد القاهر سبب ترجيح أسلوب الكناية على الإفصاح فيقول : " فنحن وإن كنا نعلم أنك إذا قلت : " هو طويل النجاد " وهو جم الرماد " كان أبهى لمعناك ، وأقبل من أن تدع الكناية وتصرح بالذي تريد وكذا إذا قلت : " رأيت أسداً " كان لكلامك مزية لا تكون إذا قلت : رأيت رجلاً هو والأسد سواء في معنى الشجاعة وفي قوة القلب ، وشدة البطش وأشباه ذلك ، فإنما تسكن أنفسنا تمام السكون إذا عرفنا السبب في ذلك والعلة ولم كان كذلك " (٣) .

(١) الكناية والتعريض ، أبو منصور الثعالبي ، ص ٥ ، تحقيق ودراسة أسامة البحيري .

(٢) دلائل الإعجاز / الجرجاني ، ص ٧٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٧٠ .

ويرى عبد القاهر - أيضاً - أن الكناية لها دور حيوي في التعبير الأدبي لما لها إثبات الصفة بإثبات دليلها ، حيث يقول : " أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا يكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها ، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ إليها وتثبيتها هكذا سارجاً غفلاً ، وذلك أنك لا تدعى شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف بحيث لا يشك فيه ، ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط " (١) .

ولعل من الأسرار أيضاً في أن الكناية أبلغ من التصريح هو : أنها تبرز المعاني المجردة في صور محسوس ، فيكون ذلك أدعى إلى قبولها وتأكيدا ، كما أنها من ناحية أخرى توقظ الفكر وتدفعه إلى البحث عما وراء الصورة الظاهرة للكلام حتى يصل إلى المراد ويعرفه عن طريق الوسائط والصلات بين المعاني الظاهرة للكلام والمعاني المرادة منه .

" وكذلك فيما تتركه من مبالغة لطيفة تفضي مصحوبة بدليلها وعرض القضية ، وفي طبعها برهاناً " (٢) .

وعليه فالتعبير الكنائي تمثل مكاناً مرموقاً في سلم البيان العربي ومن ثم فبلاغته وقيمته الفنية ذات أثر فعال في تكوين الصورة ، وإبراز ملامحها الفنية الخفية التي تتجلى متألفة بمظاهر الإبداع بقوة الارتباط بين الإنسان والعوامل الأخرى المحيطة له .

" وقد كان النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - حريصاً كل الحرص على إيصال مفاهيمه إلى الجميع دون جرح العواطف ، أو خدش المشاعر

(١) المرجع نفسه ، ص ٧٢ .
(٢) علم البيان / عبد العزيز عتيق ، ص ٢٢٣ .

، أو اشمئزاز النفوس وكان الطريق إلى ذلك هو الكناية مما تملك من قدرة على التعبير الموحى والمهذب بوقت واحد «(١)

وقد ساهمت الكناية كثيراً في بناء الصورة البيانية في الحديث الشريف، وشغلت مكاناً واسعاً من بين أساليب التعبير البياني لدى أحاديثه الشريفة ، وشكلت لديه نمطاً مميزاً يلجأ إليه طالما أراد إحاطة تعبيره بهالة من الفخامة والبلاغة ، ومنحه طابعاً من الوقار والاتزان فضلاً عن تصوير المعنى وتقديمه في أحسن عرض ، قد تعجز الأساليب الأخرى في أدائه .

ولعل أسلوب الكناية من بين أساليب البيان هو الأسلوب الوحيد الذي يستطيع المرء أن يتجنب التصريح بالألفاظ الخسيسة أو الكلام الحرام والعبارات المستهجنة التي تدخل في دائرة الكلام الحرام ، وقد يكون باعثها الاشمئزاز ، وقد يكون باعثها الخوف ، الخوف من اللوم والنقد والتعنيف من أن يدفع المرء بالخروج عن آداب المجتمع الذي يعيش فيه ، لكل ذلك كانت الكناية هي الوسيلة الوحيدة التي تيسر للمرء أن يقول كل شيء ، وأن يعبر بالرمز والإيحاء عن كل ما يجول بخاطره(٢)

والكناية تمثل أسلوباً متميزاً من أساليب البيان ، إذا ما عرفنا قدرتها على الإسهام في أداء المعنى من خلال الإيحاء والرمز أو الإشارة والتلويح أو التعريض ، لذلك فإن للكناية دور فعال في استكشاف المعاني أو تصويرها بأدق وأوفى تعبير .

ولعل من أبرز الأسباب التي دعت النبي محمد صلى الله عليه وسلم أي النزوع إلى الكناية ليسهل فهمه لأن المعاني المجردة لا يدركها العقل واضحة إلا إذا صور لنفسه محسوسات جزئية تكفي لانتزاع صور مجردة عنها .

^١ أصول البيان العربي / محمد حسين علي الصغير ، ص ١١٤ .

^٢ علم البيان / عبد العزيز عتيق ، ص ٣٢٤ .

لهذا فالكناية هي انبثاق عن النزعة الحسية التي تأصلت لدى
الإنسان العربي ، وانتشرت في روحه ، مما حدا بالرسول الكريم محمد
صلى الله عليه وسلم التعبير عنها بهذه الصورة البيانية التي سنتناولها فيما
يأتي من أحاديث شريفة .

المبحث الثاني أقسام الكناية

تبلورت جهود البلاغيين في نهاية المطاف بتفريع الأسلوب الكنائي بحسب المطلوب إلى ثلاثة أقسام ، واستمرت هذه الأقسام دستوراً لا يحدد عنه البلاغيون إلا نادراً^(١) .

وفي هذا البحث سأدرس الأسلوب الكنائي في الحديث الشريف من خلال أقسام الكناية الثلاثة مما ذهب إليه السكاكي ، وسأبدأ بهذا التقسيم الثلاثي لأنه الأعم الأغلب .

أولاً : الكناية عن صفة :

وفيها نصح بالموصوف ، وبالنسبة إليه لكن لا نصح بالصفة المكنى عنها ، بل بصفة أو بصفات أخرى تستلزمها^(٢) .

ومما جاء كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " ^(٣) ففي قوله : " فليقل خيراً أو ليصمت كناية عن السلم والسلام ودفع الشر الذي ربما يحصل بسبب القول إذا ما جانب الشر .

ومما يظهر فيه روعة البيان صورة كناية أخرى يصورها الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل المحسن الذي تصدق بصدقة فأخفاها عن أعين الناس ابتغاء مرضاة الله عندما قال صلى الله عليه وسلم : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " ^(٤) كنى بقوله : " حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه عن شدة إخفائه للنفقة ، فإذا كانت شماله لا تعلم بما

(١) المثل السائر / ابن الأثير ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .
(٢) البلاغة الاصطلاحية / عبده عبد العزيز قليقة ، ص ١٠٥ .
(٣) سنن الترمذي / ص ٥٦٣ ، حديث رقم / ٢٥٠٠ .
(٤) سنن الترمذي / ص ٥٣٩ ، حديث رقم / ٢٣٩١ .

تتفقه يمينه، وهي سريحتها وقسميتها وجارتها ولصيقتها ، فأجدر ألا يعلم بذلك غيرها مما شط داراً وبعد جواراً^(١).

" وفيما رأينا أن الصورة الكنائية هنا تتبض بالحركة لأنها كانت في ظل الاستعارة لأننا هنا أمام يد ليست كالأيدي أنها يد تدري وتعرف"^(٢) وقد كان ذلك الرجل موفقاً عندما استطاع إخفاء الصدقة عن تلك اليد لقد نفع هذا الحديث الحياة في اليد فأصبحت شخصاً ، ويلزم عن هذا أن الصدقة كانت خفية حقاً ، فإذا لم تدر اليد الأخرى بما فعلت أختها فكيف يعلم أحد عن هذه الصدقة ؟ وليس من شك على إيمان المتصدق ونيله وحرصه على كرامة من تعطى إليهم الصدقة .

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " **ورجل كان قلبه معلقاً بالمساجد** "^(٣) فقد عبر الحديث عن حب الرجل للمساجد ، بأن قلبه معلق بها فلا يطيب له عيش إلا أن يكون فيها ، ولا يخرج منها إلا وهو يتمنى أن يعود إليها لأنه يجد فيها الأنس بمناجاة الله وذكره والتوجه إليه .

وفي هذا القول الكريم كناية حسنة فقد كنى عن ملازمته المسجد وتردده عليه ، ومحافظته على الصلاة مع الجماعة يتعلق قلبه بالمساجد ، ومن تكون صفته هذه ينعم في ظل الرحمن ، ويحمى من كل شر لأنه الظل الوحيد يوم تقوم الساعة .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " **ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** "^(٤) كناية عن الخشوع ، وذلك أنه رجل صادق في بكائه ، ومخافته من الله ، فقد ذكر الله خالياً ، فبكى خوفاً من الله ، ولم يبك أمام الناس

(١) المجازات النبوية / الشريف الرضي ، ص ٤١٣ .
(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي / الصباغ ، ص ١١٧ .
(٣) سنن الترمذي ، ص ٥٣٩ ، حديث رقم / ٢٣٩١ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٥٣٩ ، حديث رقم / ٢٣٩١ .

ليظهر أمامهم بمظهر الخائف من الله ، وهو في الحقيقة بعيد عن ذلك كل البعد كما نرى في عدد من الناس الآخرين يظهرون أمام الناس الخشية والخوف من الله وإذا ما خلا كان من المفسدين فقد عبر صلى الله عليه وسلم بقوله : " فاضت عيناه بالبكاء خشية من الله لا غير .

وفي الحديث أيضاً توجه - صلى الله عليه وسلم - إلى الخلق القويم وإظهار ما صورته البشرية من طهاره وسمو وصفاء إنها طهارة الوجدان ، وصفاء الإيمان الذي يعصم صاحبه من الانزلاق في مزلق الرذيلة فيعبر عن عفة الرجل بقوله : " ورجل دعت امرأته ذات حسب وجمال فقال : إني أخاف الله " (١) وفي رواية أخرى " ذات منصب وجمال " .

ففي الحديث كنايةان ، الأولى في قوله صلى الله عليه وسلم : " دعت امرأته " كناية عن المراودة عن النفس من أجل عمل الفاحشة ، فهذه هي الفتنة والإغراء تتزينان في صورة امرأة ذات منصب وبهذا يتحقق الأمان من الفضيحة وكسب المال وضمان قضاء الحاجات " (٢) وعلى الرغم من ذلك فإنه يمتنع ، وفي ذلك يكمن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : إني أخاف الله ولم يذكر الحديث امتناعه وإبائه ، ولكنه عبر عنه بهذه الكناية اللطيفة وبأسلوبها المهدب لأنه يمتنع لا ضعفاً ولا خوفاً من أحد لكن كل ذلك خدمت جانبه لكنه يمتنع عن ذلك خوفاً من الله فلم يجب الدعوة .

والرسول - صلى الله عليه وسلم - يذكرنا بيوم القيامة يوم الحساب ليتقي المسلم شر ذلك اليوم ، فيعمل لآخرته كما يعمل لدنياه ، وقد دارت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على أن يوم القيامة قريب جداً فمن

(١) سنن الترمذي / ص ٥٣٩ ، حديث رقم / ٢٣٩١ .
(٢) التصوير الفني في الحديث الشريف / الصباغ ، ص ١١٦ + ١١٧ .

ذلك قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(١) وغير ذلك وليس هنالك أحد من الناس يعلم متى تقوم الساعة ، وهذا سر إلهي اختص الله تعالى بعلمه ، وعندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال : " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل "^(٢) وهذا السر فيه ما فيه من اليقظة والحذر للمسلم ، لأنه في هذه الحالة ينتبه ، فيعمل الخير على الدوام فيخرج من الدنيا بوجه أبيض، ويقابل ربه وهو مسرور .

ومن ذلك الأحاديث التي كنى بها الرسول صلى الله عليه وسلم عن قرب يوم القيامة قوله صلى الله عليه وسلم : " بعثت أنا والساعة كهاتين "^(٣) يعني السبابة والوسطى ، وهذا الحديث يصور قرب الساعة ، وفيه اعتمد على الإشارة ليشد السامعين إليه ، ويقرب للأذهان البعيد ، ويمثل المعنى المجرد بصورة حسية ، فالرسول الكريم بعث هو والساعة متلازمين متجاورين ، كما تلازم السبابة والوسطى ، وكما تجاورها .

وقال صلى الله عليه وسلم : " بعثت في نفس الساعة "^(٤) وفي هذا الحديث جعل النبي صلى الله عليه وسلم للساعة نفساً كالإنسان ، وقال بعثت في وقت أحس فيه بنفسها ، وقربها كما يحس الإنسان الآخر إذا قرب من شخصه " ^(٥).

فقوله : نفس الساعة كما يقول ابن الأثير : " من العبارات العجيبة التي لا يقوم غيرها مقامها ، لأن المراد بذلك أنه بعث والساعة قريب منه لكن قربها منه لا يدل عليها ، وما دل عليها النفس ، وذلك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما يحس الإنسان بنفس من هم إلى

(١) سورة القمر الآية / ١ .
(٢) سنن الترمذي ، ص ٥٨٨ ، حديث رقم / ٢٦١ .
(٣) سنن الترمذي ، ص ٥٠٠ ، حديث رقم / ٢٢١٤ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٥٠٠ ، حديث رقم / ٢٢١٣ .
(٥) المجازات النبوية / الشريف الرضي ، ص ٣٥ .

جانبه ولو قال بعثت على قرب من الساعة ، أو أن الساعة قريبة مني ،
لما دل ذلك على ما دل عليه نفس الساعة ، وهذا لا يحتاج إلى الإطالة
في بيانه لأنه بيّن واضح " (١) .

ويقول الرافعي في هذا الحديث : " يريد أنه بعث والساعة قريبة منه
فوصف ذلك باللفظة التي تدل على أدق معاني الحس بالشيء القريب
وهي لفظة النفس ، كما يحس المرء بأنفاس من يكون بإذائه ، ولا يكون
ذلك إلا على شدة القرب " (٢) .

وفي مقال الجهاد يقول صلى الله عليه وسلم : " إن أبواب الجنة
تحت ظلال السيوف " (٣) .

يقول ابن الأثير : " هو كناية عن الدنو من الضراب في الجهاد حتى
يعدوه السيف ويصير ظله عليه " (٤) وهذه الصورة الرائعة تفيد أن المجاهدين
عندما يجتمع بعضهم إلى بعض صفاً متراصاً والسيوف بأيديهم أصبحت
كأنهم تظل الضاربين بها المعرضين للشهادة ، فإن أبواب الجنة هناك " (٥)

وبهذا تبدو الغاية المنتقاة من هذا التصوير ، وهي نداء الراغبين في
الجنة أن يدخلوا بابها وهو الجهاد في سبيل الله ، فمن أراد الجنة فعليه أن
يجاهد ، لأن باب الجنة تحت ظلال السيوف .

ومن الأسباب الداعية إلى الأسلوب الكنائي الإيجاز أو الاختصار
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحث المسلمين على التوجه إلى

(١) المثل السائر / ابن الأثير ٨٢/٢ .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / الرافعي ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٣) سنن الترمذي / ص ٣٨٩ ، الحديث رقم / ١٦٥٩ .

(٤) النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير ، ١٥٩/٣ .

(٥) التصوير الفني في الحديث النبوي / الصباغ ، ص ١٥٧ .

الله تعالى في الدعاء : " ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع " (١) .

فتوجه الإنسان بالدعاء إلى الله دليل الشعور بكمال الألوهية ، ونقص العبودية وعجزها فهو من إظهار فقد العبد وضعفه وحاجته إلى من يملك كشف الضرر وإجزال العطاء ، وحاجة الإنسان لا تتقضي بل هو دائم الاتصال بكاشف الضرر ومحقق الرجاء ، ولا يقبل الدعاء إلا من المتقين .
ولما كانت منزلة الدعاء هكذا في تدعيم الصلة بين العبد وربّه سبحانه وتعالى أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يؤكد كل التأكيد ويعمقها في قلب المؤمن لتتصل بكل خلجاته فعبر في حديثه بلفظ العموم " حاجته كلها " وعلى الرغم من توكيد الحاجة عقبه بالكناية المقدرة لإرادة العموم ، ورفع التجوز في أي احتمال ، وهذه الكناية " حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع " هي كناية عن قلة الحاجة أي أن حاجة الإنسان مهما كانت قليلة ، صغيرة الشأن لا مانع أن يتوجه الله ، فيدعوه لقضائها له ، وبذلك عبر عن بساطه هذه الحاجة بشسع النعلة .

وللرسول - صلى الله عليه وسلم - حديث آخر يكنى فيه عن مجموعة من الصفات عن عدة معانٍ تتعلق بتذكير الإنسان بأن الدنيا فانية لا قرار فيها ، فيقول : " من كانت الآخرة همه ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع الله له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قُدّر له " (٢) .

فقوله صلى الله عليه وسلم : " من كانت الآخرة همه كناية بالتمسك بدين الله ، واجتناب ما حرم ، والتزام ما أمره وقوله وجعل الله غناه في قلبه ، كناية عن القناعة بالمقسوم من الرزق ، وقوله جمع الله له شمله ، كناية

(١) سنن الترمذي / ص ٨٢٠ ، حديث رقم / ٣٦٠٤ .

(٢) سنن الترمذي / ص ٥٥٦ ، حديث رقم / ٢٤٦٥ .

عن استقرار النفس ، وعدم تفرقتها ، وسعيها إلى المطامع ، وقوله : " أنته الدنيا وهي راغمة أي طائعة ، كناية عن أن ما قدر له سيئاته رقم انف الجميع ، وقوله : من كانت الدنيا همه " كناية عن شدة الحرص على الدنيا ، ولا يجتمع مع الحرص وشدة على الدنيا مع شدة الدين ، ففيه الاستهانة بالدين وترك سبيل المؤمنين ، وقوله : " جعل فقره بين عينيه " كناية عن تصويره الشديد له ليظل فزعاً من معاقبه بتصوره له ، جاهداً في دفاعه عنه ، وقوله : " فرق عليه شمله ، كناية عن تشعب قلبه بالمطامع ، ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له .

وفي مجال الانتقاص من شأن الدنيا وأنها لا تساوي شيئاً جاء قوله صلى الله عليه وسلم : " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء " (١) فهذه كناية عن هوان الدنيا ووضاعتها عند الله وإلا لما نرى الكفار يسقون منها ، وتتاح لهم فيها وسائل النعيم بل هي أقل من جناح البعوضة مما يدل على هوانها .

وأيضاً يبين صلى الله عليه وسلم أن الدنيا بالنسبة للآخرة لا تعدل كمية الماء التي تعلق بأصبع المرء إذا أدخلها البحر فقال صلى الله عليه وسلم : " ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع " (٢) فهذه كناية أنها أي الدنيا لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة .

وفي مجال الدعوة إلى الجهاد ، وبيان فضله جاء أن المقاتلة في سبيل الله ولو مدة قصيرة توجب لصاحبها وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : " من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له

(١) سنن الترمذي / ص ٥٢٤ ، حديث رقم / ٢٣٢٠ .

(٢) سنن الترمذي / ص ٥٢٥ ، حديث رقم / ٢٣٢٣ .

الجنة" (١) فقله : " فواق ناقة " كناية عن قصر المدة ، وهي المسافة بين الحلبتين .

ومن الكناية التي جاءت على لسان الرسول - صلى الله عليه وسلم - التي تدل على الشيء اليسير قوله صلى الله عليه وسلم : " لو أهدي إليّ كُرَاعٌ لقبلت ، ولو دعيت عليه لأجبت " (٢).

والتعبير عن القلة جاء في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمثقال ذرة أو مثقال حبة من خردل أو وزن الشعيرة أو البرة كثيراً جداً ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان " (٣) " وقوله أيضاً : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " (٤). ولا يدخل النار ، يعني من كان في قلبه مثقال ذرة، من إيمان والكناية عن صفة وردت بشكل واسع في الحديث النبوي " لأن الكناية من أروع المسالك البيانية ، والطرق الأسلوبية التي يعبر بها المنشئ عن المعنى تعبيراً مظلماً هادفاً موجزاً يخفي تحت ظلاله لطائف مراده " (٥) والكناية كما ذكر أبلغ من الحقيقة والتصريح ، وهي كالدعوة مع بينتها ودليلها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يضرب المثل الكريم السخي في استعمال هذا المسلك الأسلوبي الراقى للدلالة على المعاني الكثيرة التي توضح عقيدة الإسلام ، وترسم منهج الحياة الصحيح للمسلمين كافة بدلالة ألطف ، وأسلوب أوجز وأكد فجاء أسلوبه مؤثراً مما جعلهم سريعو الاستجابة له .

(١) سنن الترمذي / ص ٣٨٩ ، حديث رقم / ١٦٥٧ .

(٢) سنن الترمذي / ص ٣١٥ ، حديث رقم / ١٣٣٨ .

(٣) سنن الترمذي / ص ٤٥٣ ، حديث رقم / ١٩٩٨ .

(٤) سنن الترمذي / ص ٤٥٣ ، حديث رقم / ١٩٩٩ .

(٥) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، عز الدين السيد ، ص ٣٠٤ .

ثانياً : الكناية عن موصوف :

وفي الكناية عن الموصوف تصرح بالصفة كما تصرح بالنسبة ، لكن لا تصرح بالموصوف صاحب النسبة بل نكني عنه بما يدل عليه ويستلزمه^(١).

وإذا ما قارنا بين أقسام الكناية عن موصوف في الحديث النبوي الشريف ستجد أن الكناية عن موصوف قليلة بالنسبة إلى الكناية عن صفة، وذلك لقلّة أهميتها وذلك لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - اعتمد في أسلوبه التعليمي والتربوي توضيح المعاني العقلية المجردة ، بصورة حسية ملموسة ليتمكن المخاطبين من فهمها واستيعابها فضلاً عن كثرة المعاني المتعلقة بالدين الإسلامي ، والعقيدة الإسلامية التي هي بحاجة ماسة إلى الشرح والتوضيح والتقريب إلى الإفهام حينذاك يضاف إلى ذلك المبادئ التربوية الأخرى المتعلقة بتنظيم حياة المسلمين ، ورسم منهج حياتهم الاجتماعية .

فجميع تلك المعاني التي قصدها الرسول - صلى الله عليه وسلم - تشكل المادة الرئيسية للصورة البيانية في الحديث الشريف .

أما الكناية عن موصوف فلا يمكن أن تصل إلى تلك الأهمية التي وجدناها في الكناية عن صفة ، وإذا ما وجدنا الكناية عن الموصوف في الحديث الشريف فهي عابرة جاءت بحكم التعبير .

وعلى الرغم من ذلك كله فقد وردت في الحديث النبوي كنايات عديدة عن موصوفات معينة ولكنها قليلة إذا ما قورنت بسابقتها في الكناية عن صفة كما أسلفنا .

(١) البلاغة الاصطلاحية / عبده عبد العزيز قليلة ، ص ١٠٥ .

ومما جاء عنه- صلى الله عليه وسلم- في الكناية عن موصوف
قوله: "إخوانكم جعلهم الله فتيّة تحت أيديكم ، فمن كان أخوة تحت يده
فليطعمه من طعامه ، وليلبسه من لباسه ، ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه
ما يغلبه فليعنه " (١).

والرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يترفع عن ذكر الخادم
أو أية لفظة أخرى يمكن أن تخدش إنسانية الإنسان ، أو تشعره بأنه أقل
من غيره من الناس الآخرين ولذلك ترك هذا اللفظ إلى ما هو أجمل منه ،
موضحاً أن الناس درجات ، فمنهم من هو فوق ، ومنهم من هو تحت ،
وذلك سر إلهي تقتضيه طبيعة الحياة الدنيا وهذا لا ينقص من سيادة
الإنسان فكنى بقوله : " من كان أخوه تحت يده عن الخادم أو المملوك لأنه
مهما كان عمله فهو أخوه في الإسلام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
﴾ (٢) وهذا أسلوب كنائي بديع يحمل معنى التهذيب والتقدير والإجلال
لأقدار الناس ومكانتهم ومراعاة الأحاسيس والمشاعر .

وهكذا تتجلى رعاية الإسلام لإنسانية الإنسان ، وتكريمه إياه في
أحكامه وتشريعاته المختلفة ، وهكذا تجد أن الصفة المعنوية قد اختفت وراء
الكناية عن موصوف .

ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " يقال يعني لصاحب
القرآن : اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عن آخر
آية تقرأ بها " (١).

فهذا الحديث يعد كناية عن منزلة قارئ القرآن لأننا نسمع فيه
الصوت المترع بالإكرام ، ولنا أن نتصور من ذلك . هذا القارئ يرتل

(١) سنن الترمذي / ص ٤٤٣ ، حديث رقم / ١٩٤٥ .

(٢) سورة الحجرات الآية (١٠) وتكلمتها " إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " .

(١) سنن الترمذي / ص ٦٥١ ، حديث رقم / ٢٩١٤ .

بصوته الجميل، وكلما قرأ آية ارتقى ، وصعد في منازل الجنة ، إنها صورة تتميز بالحركة والتشخيص المعنوي الرائع ، فالقارئ يتدرج فوق سلم الإيمان آية آية حتى يصعد إلى الغاية القصوى ، إلى الجنة .

ولعل من أبرز الأمثلة على الكناية عن موصوف قوله صلى الله عليه وسلم : " أكثروا ذكر هادم اللذات " (٢) كنى به عن الموت ، فهو هادم كل لذة، ومفرق كل جماعة ، وكنى عنه بما يشير إليه ويدل عليه ، والموت موصوف.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " (٣) كنى صلى الله عليه وسلم بقوله : " لقاء الله " عن الموت فقد عدل صلى الله عليه وسلم عن ذكر الموت إلى غيره وهو لقاء الله ، وهذا كما هو معلوم جانب نفسي مهم بالنسبة للسامع ، فهو لم يقل من أحب الموت أحبه الله ، ومن كره الموت كرهه الله ، وإنما قال ذلك بطريق غير مباشر وهو طريق الكناية .

والرسول صلى الله عليه وسلم دائماً يذكر بالآخرة والاستعداد لها ، ويدعو إلى الزهد في هذه الدنيا الفانية ، ومما يجري في نفس هذا السياق قوله صلى الله عليه وسلم : " كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الأذن ، متى يؤمر بالنفخ فينفخ " (١) .

فصاحب القرن كناية عن موصوف وهو إسرافيل عليه السلام ، الملك المكلف بالنفخ والتقام القرن وما وراءه كناية عن صفة التأهب والاهتمام بقرب الموعد " وهي صورة تخيلية تصور الأمر الشديد الذي نحن عمي عنه " (٢) .

(٢) سنن الترمذي / ص ٥٢٢ ، حديث رقم / ٢٣٠٧ .

(٣) سنن الترمذي / ص ٥٢٢ ، حديث رقم / ٢٣٠٩ .

(١) سنن الترمذي / ص ٥٤٨ ، حديث رقم / ٢٤٣١ .

(٢) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، عز الدين السيد ، ص ٢١٣ .

ثالثاً : الكناية عن نسبة الصفة إلى الموصوف :

وفيها نصح بالصفة ، ونصح بالموصوف ، لكننا لا نصح بنسبة الصفة إلى الموصوف ، بل يكنى عن صفة النسبة بنسبة أخرى تستلزمها^(٣)

ويكون ذلك بالعدول عن نسبة الصفة إلى الموصوف مباشرة ونسبتها إلى ماله اتصال به .

والأمثلة في الكناية عن نسبة قليلة جداً في الحديث الشريف إذا ما قورنت بالأمثلة في الكناية عن صفة ، أو الكناية عن موصوف ، والسبب يبدو في الجانب التعليمي والتربوي للرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن في هذا النوع من الكناية إيهاماً في نسبة الصفة إلى الموصوف ، فالصفة فيها لا تنسب إلى الموصوف مباشرة ، وإنما تنسب إلى شيء آخر مما له علاقة به ، وذلك ربما يكون بعيداً عن تصور المخاطبين ، لأن النسبة هنا تحتاج إلى إعمال الفكر وإجالته وتمحيص في المعنى .

وعلى الرغم من ذلك فقد وردت بعض الأمثلة في الكناية عن نسبة في أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، ويمكن أن نفسر ذلك بمقتضى الحال الذي هو أساس البلاغة لأن مقتضى الحال هو الجوهر في صياغة الجملة ولكل مقام مقال " .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " الإيمان يمان ، والكفر من قبل المشرق ، والسكينة لأهل الغنم ، والفخر والرياء في الفدّادين أهل الخيل ، وأهل الوبر يأتي المسيح إذا جاء دبر أحد صرفت الملائكة وجهه قبل الشام ، وهناك يهلك " ^(١) .

(٣) البلاغة الاصطلاحية / عبده عبد العزيز قليلة ، ص ١١٢ .
(١) سنن الترمذي / ص ٥٠٧ + ٥٠٨ ، حديث رقم / ٢٢٤٣ .

والحديث فيه إشارة واضحة إلى جهة اليمن ، وفي قوله : " الإيمان يمان " كناية عن نسبة ، فقد نسب صلى الله عليه وسلم الإيمان إلى اليمن ، المكان ولم ينسبه إلى أهل اليمن مباشرة ، وذلك لوجود علاقة بينهما ، والرسول صلى الله عليه وسلم إنما أراد بهذه الصورة أبعاداً أخرى نفسية لها أثرها النفسي على سكان هذه البلاد وفي ذلك عزة للإسلام والمسلمين ، وتعظيماً لشأن هؤلاء الساكنين في هذه البقعة من الأرض والشد على أيديهم لإنصافهم بحسن إسلامهم وبيان فضلهم فيه .

منه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا " (٢) .

فقوله : " هما ريحانتاي " كناية عن شدة الحب " وموضع الرحمة والشفقة ، والحنو ، والعطف عليهما ، وإعظام المنزلة عنده لهما ، وهذا فيه كناية عن شدة الحب والإيثار للأولاد " (٣) .

(٢) سنن الترمذي / ص ٨٥٢ ، حديث رقم ٣٧٧٠ .
(٣) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، د . عز الدين علي السيد ، ص ٢١٧ .

الختامة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأحمده حمداً يوافي نعمه ، ويدفع نقمه ويكافئ مزيده ، وأشكره أن سدد وأعان حتى تم هذا البحث ، وفق ما خطط له من منهج ، وأسأله أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن ، ويتجاوز عما فيه من خطأ وتقصير ، وأن يجعله ضمن الحسنات المقبولة ، وإن ينفعنا به وينفع كل من ساهم فيه ، وكل من اطلع عليه .
وفي الختام أود أن أشير إلى النتائج التي توصل إليها الباحث خلال متابعته لهذا البحث .

النتائج :

- ١- شغل التشبيه جزءاً كبيراً من هذا البحث مقارنة بالاستعارة والكناية والمجاز المرسل.
- ٢- ظهر أن التشبيه البسيط من أكثر أنواع التشبيه وروداً في الحديث ، وأكثر الصور التشبيهية تقريباً للمعنى .
- ٣- وضح بالدليل من خلال هذه الأحاديث الشريفة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة .
- ٤- استاق الرسول صلى الله عليه وسلم صورته البيانية من شؤون حياة الناس العامة ومن البيئة التي كانوا يعيشون فيها .
- ٥- استخدم الرسول الكريم مختلف وسائل التصوير الفني ، بخاصة الصور الحسية ، وأن جل تلك الصور قد أدت وظائفها عن طريق الأيحاء والتشخيص وغيرهما .
- ٦- إن وضوح الصورة البيانية أظهرت السمات المعنوية ، وأنه صلى الله عليه استعان بالتشبيه ، والاستعارات ، والكنائيات ، كما استعان على

وضوح الصورة بوضوح العبارة ، وسلامة التركيب ، والبعد عن الغموض والإبهام .

٧- من خلال ما عرض من نزر يسير من الأحاديث الشريفة التي تناولتها الدراسة في هذا البحث ازدت يقيناً أن الحديث الشريف مليئاً بكنوز لم تكشف بعد .

٨- إن للرسول- صلي الله عليه وسلم- نتاجاً ضخماً ، حيث اشتملت أحاديثه على صور بيانية جميلة ، صور فيها جوانب الحياة المختلفة وكانت علاجاً لقضايا المجتمع والناس وما زالت كذلك .

٩- إن الحديث الشريف لم يعن به الدارسون كثيراً بإبراز محاسنه البلاغية ، وما فيه من صور بيانية ، فقد كان جهدهم ينصب في شرحه اللغوي ، والمعنوي ، أو النحوي ، ولم يلتفتوا . إلا القليل منهم . لاستجلاء ما فيه من أساليب بلاغية رائعة وصور بيانية زاهية.

١٠- أغلب الدراسات التي كانت في الحديث كانت منصبة في صحيح البخاري ومسلم ، وقليل منها كانت في غيرهما : مثل صحيح الترمذي .

بعض المقترحات والتوصيات :

١- دراسة أحاديث الرسول- صلي الله عليه وسلم- دراسة بلاغية مستقلة حتي يتمكن الباحث من التعمق الاستقصاء ، إذ أن كل أحاديث الرسول الكريم جديرة بالدراسة والبحث .

٢- ينبغي للدعاة والخطباء ان يهتموا بمعرفة الحديث الشريف ، وأن يستفيدوا منها في مجال دعوتهم ، فأحاديثه الشريفة مليئة بالمعاني السامية ، وثرة بالقيم النبيلة ، فضلاً عن الأساليب البيانية الرائعة التي تعينهم في تجلية وتوضيح ما في خواطرهم .

- ٣- جمع الأحاديث الشريفة بعد اختيارها وتمحيصها ، وطبعها في كتيبات صغيرة ، حتي تكون سهلة المنال ، لكي يرتشف الناشئة من خضم بحرها العذب ، وينشأوا على ذلك .
- ٤- يدرس الحديث الشريف في مدارسنا الثانوية دراسة بيانية ، مع الشرح اللغوي والمعنوي ، ليكون بدايات للفت نظرهم لهذا الفن البديع والعمل العظيم .
- ٥- تدرج مادة الحديث الشريف في مقرراتنا الجامعية كمتطلبات جامعية ، وهذا في رأيي سيكون إضافة رائعة وفتح منافذ جديدة للأفكار والرؤى .
- ٦- أن يساعد الجميع في نشر الحديث - كل في مجاله - لما فيه من قوة حجة ، ومثل ومعان قيمة ، هي آيات من عظمة هذا الدين وبهذا نكون قد أدينا بعض ما علينا من واجبات تجاه هذا الدين القويم ، وتلك اللغة الكريمة .
- ولعلني بهذا أكون قد استعرضت أهم القضايا التي أثرتها ، وما تم من مناقشة لموضوعاتها .
- أرجو أن أكون قد وفقت للصواب والسداد ، وأشكره سبحانه وتعالى على ما أمد بعونه ، وأسبغ من نعمه ، فله الحمد والشكر ، والصلاة والسلام على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهرس المفصل للآيات القرآنية الواردة في البحث

سورة البقرة

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	مسلسل
١٩	١١٥	((يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت...))	١
٤٣	١٠٨	((أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، واركعوا مع الراكعين...))	٢

سورة آل عمران

٦	١٥	((هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو...))	٣
---	----	---	---

سورة النساء

٢	١١٢	((آتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب...))	٤
---	-----	---	---

سورة الأعراف

١١	١٥	((ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقلن للملائكة اسجدوا لآدم...))	٥
----	----	--	---

سورة يوسف

٨٢	١٠٥ ١١٥	((وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها...))	٦
----	------------	---	---

سورة الحجر

٩	٨	((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))	٧
---	---	---	---

سورة الإسراء

٢٤	١٠٥	((واخفض لهما جناح الذل من الرحمة...))	٨
----	-----	---------------------------------------	---

سورة مريم

٣٩	٣٧	((وأنذرهم يوم الحسرة...))	٩
----	----	---------------------------	---

سورة طه

١١٠	٤٠	((فرجعناك إلي أمك كي تقر عينها ولا تحزن ((...))	١٠
١١٢	٧٤	((إنه من يأت ربه مجرماً يوم القيامة فإن له جهنم ((...))	١١

سورة النور

٢٠	٣٩	((والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ...))	١٢
----	----	--	----

سورة الشعراء

١١٤	٨٤	((واجعل لي لسان صدق في الآخرين))	١٣
٨	١٩٣	((نزل به الروح الأمين))	١٤
٨	١٩٤	((علي قلبك لتكون من المنذرين))	١٥
٨	١٩٥	((بلسان عربي مبين...))	١٦

الصافات

٢٠	٤٨	((وعندهم قاصرات الطرف عين))	١٧
٢٠	٤٩	((كأنهن بيض مكنون))	١٨

سورة الزمر

٨	٢٨	((قرأنا عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون))	١٩
---	----	---	----

سورة الزخرف

٨	٣	((إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون))	٢٠
---	---	---	----

سورة الحجرات

١٣٢	١٠	((إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا))	٢١
-----	----	----------------------------------	----

سورة القمر

١٢٦	١	((اقتربت الساعة، وانشق القمر ...))	٢٢
-----	---	-------------------------------------	----

سورة الحشر

٦٥	٢١	((لو أنزلنا هذا القرآن علي جبل لرأيته خاشعاً ...))	٢٣
١٥	٢٤	((هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنی ...))	٢٤

سورة نوح

١١٢	٧	((واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ...))	٢٥
-----	---	---	----

سورة الانفطار

١٥	٨	((في أي صورة ماشاء ركبك .))	٢٦
----	---	-------------------------------	----

سورة العلق

١١٣	١٧	((فليدع ناديه .))	٢٧
-----	----	---------------------	----

**فهرس الأحاديث الواردة فى البحث فى سنن الترمذى
حرف الالف**

رقم الصفحة	رقم الحديث	الحديث	م
١١٢	٢٩٣٥	أتاكم أهل اليمن	١
٤٩	٢٤١٨	أتدرون ما المفلس	٢
١٣٢	١٩٤٥	إخونكم جعلهم الله قتيبة	٣
٣٤	٢٧٥	إذا سجد أحدكم فليعتدل	٤
٦٢	٢٨٦٨	أرأيتم لو أن نهرا	٥
١١١	٢٨٤٩	أشعر كلمة تكلمت بها العرب	٦
٣٤	٢٧٦	اعتدلوا فى السجود	٧
١١١	١٢٠٠	اعتق رقبة	٨
١١٤	٣٠٩٤	أفضله لسان ذاكر	٩
١٣٣	٢٣٠٧	أكثروا ذكر هاذم اللذات	١٠
١٢٧	١٦٥٩	إن أبواب الجنة تحت ظلال	١١
٤٢	٢٩١٣	إن الذى ليس فى جوفه شيئا	١٢
٨٥	٢٦٢٩	إن الإسلام بدأ غريبا	١٣
٤٧	٤٥٢	إن الله أمدكم بصلاة	١٤
٧٩	٢٨٦٣	إن الله أمر يحيى	١٥
٣٦	٢٦١٠	أن تعبد الله كأنك تراه	١٦
١٣٥	٣٧٧٠	إن الحسن والحسين هما ريحائتاى	١٧

٩٠	٢١٩١	إن الدنيا حلوة خضرة	١٨
٣٨	٢٤٩٧	إن المؤمن يرى ذنوبه	١٩
٣٣	٢٠٢٨	إن من البيان سحرا	٢٠
٥١	٢٨٦٧	إن من الشجر شجرة	٢١
٤٦	٣٠١٣	إن موضع صوت أحدكم	٢٢
٤١	١٩١٨	أنا وكافل اليتيم فى الجنة	٢٣
٥٤	٢٨٧٤	إنما مثلى ومثل أمتي	٢٤
٦٠	٢٨٦٢	إنما مثلى ومثل الأنبياء	٢٥
٥٢	٢٦١٦	ألا أخبركم برأس الأمر	٢٦
٣٤	٢٦١٦	ألا أدلكم على أبواب الخير	٢٧
٣٣	١٧٠٥	ألا كلكم راع وكلكم	٢٨
١٣٥	٢٢٤٣	الإيمان يمان	٢٩

حرف الباء

٣٩	٢١٩٥	بادروا بالأعمال فتنا	٣٠
٤٠	٢٢١٤	بعثت أنا والساعة كهاتين	٣١
١٢٦	٢٢١٣	بعثت فى نفس الساعة	٣٢
٨٣	٢٦٠٩	بنى الإسلام على خمس	٣٣

حرف التاء

٨٧	٢٢٠٨	تقىء الأرض أفلاذ كبدها	٣٤
----	------	------------------------	----

٣٩	٢١٩٧	تكون بين يدي الساعة فتن	٣٥
----	------	-------------------------	----

حرف الشاء

٨٤	٢٦٢٤	ثلاث من كن فيه	٣٦
----	------	----------------	----

حرف الدال

٤١	٢٦٢٣	الدال على الخير كفاعله	٣٧
٥٥	٢٣٢٤	الدنيا سجن المؤمن	٣٨

حرف الذال

٨٤	٢٦٧٠	ذاق طعم الإيمان	٣٩
----	------	-----------------	----

حرف الراء

٤٨	١٦٦٥	رباط يوم في سبيل الله	٤٠
----	------	-----------------------	----

حرف السين

٥٦	١٩٦٩	الساعي على الأرملة	٤١
١٢٣	٢٣٩١	سبعه يظلمهم الله في	٤٢

حرف الضاد

٤٣	٢٥٧٨	ضرس الكافر يوم القيامة	٤٣
----	------	------------------------	----

حرف الطاء

١١٣	٣٩٥٤	طوبى للشام	٤٤
-----	------	------------	----

حرف العين

٤١	٦٤٥	العامل على الصدقة بالحق	٤٥
١١١	١٦٣٩	عينان لا تمسهما النار	٤٦

حرف الفاء

١١٣	٦٣٩	فيما سقت السماء والعيون	٤٧
-----	-----	-------------------------	----

حرف الكاف

٣٦	٢٣٣٣	كن في الدنيا كأنك غريب	٤٨
١٣٤	٢٤٣١	كيف أنعم وصاحب القرن	٤٩

حرف اللام

٣٥	٢٨٧٧	لا تجعلوا بيوتكم مقابر	٥٠
٤٧	٣٣٦	لأن يقف أحدكم مائة عام	٥١
١٣٠	١٩٩٨	لا يدخل الجنة من كان	٥٢
١٣٠	٣٨٦٠	لا يدخل النار أحد ممن	٥٣
٤٨	١٦٥١	لغدوة في سبيل الله	٥٤

٤٨	٢٦٦٣	لشهيده عند الله ست	٥٥
٤٧	٢٤٩٨	الله أفرح بتوبه أهدكم	٥٦
١٣٠	١٣٣٨	لو أهدي إلي كراع لقبلت	٥٧
١٢٩	٢٣٢٠	لو كانت الدنيا تعدل	٥٨
٤٧	٣٣٦	لو يعلم المار	٥٩
٤٦	٣٩٥٥	لينتھين أقوام	٦٠
١٢٨	٣٦٠٤	ليسأل أهدكم ربه	٦١

حرف الميم

٤٢	١٩٢٨	المؤمن للمؤمن كالبنیان	٦٢
٨٦	٣٩٢٦	ما أطيبك من بلد	٦٣
١٢٩	٢٣٢٣	ما الدنيا في الآخرة	٦٤
١٠٩	٣٦٦١	ما لأحد عندنا يد	٦٥
٦١	٢١٧٣	مثل القائم على حدود الله	٦٦
٦٣	٢٨٦٥	مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن	٦٧
٨١	٢٤١٨	المفلس من أمتي	٦٨
١٣٣	١٠٦٦	من أحب لقاء الله	٦٩
٨٨	١٣٧٩	من أحيأ أرضا ميتة	٧٠
٤٤	٢٦٧٤	من دعا إلى هدى	٧١
٤٤	٢٦٧١	من دل على خير	٧٢
١٣٠	١٦٥٧	من قاتل في سبيل الله	٧٣
١٢٨	٢٤٦٥	من كانت الآخرة همه	٧٤

١٢٣	٢٥٠٠	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	٧٥
-----	------	--------------------------------	----

حرف الياء

٥٥	٢٨٨٣	يأتي القرآن وأهله	٧٦
٣٧	٣١٥٦	يؤتى بالموت كأنه كبش	٧٧
١٣٣	٢٩١٤	يقال لصاحب القرآن	٧٨

فهرس المصادر والمراجع

- ١- ابن الرومي، حياته وشعره / عباس محمود العقاد.
- ٢- أبو عيسى الترمذي شيخ الحديث. الشيخ كامل محمد عويضة. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٣- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية. بيروت (١٤٠١-١٩٨١م).
- ٤- الأدب وفنونه/ عز الدين إسماعيل. القاهرة، ١٩٧٦م.
- ٥- إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم /تحقيق عبد القادر احمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ،(بدون تاريخ) .
- ٦- أساس البلاغة/ الزمخشري. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣-٢٠٠٣م.
- ٧- أسرار البلاغة/ عبد القاهر الجرجاني. تحقيق: محمود شاكر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار المدني، جدة.
- ٨- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية. د. مجيد عبد الحميد ناجي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.

- ٩- أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة، د. محمد حسين علي الصغير. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (بدون تاريخ).
- ١٠- الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد يونس. مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٤٩م.
- ١١- أصول النقد الأدبي/ أحمد الشايب. مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ١٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ مصطفى صادق الرافعي. دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٤٦هـ.
- ١٣- الإيضاح في علوم البلاغة/ الخطيب القزويني، تحقيق: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، طبعة السنة المحمدية، القاهرة د:ت.
- ١٤- البداية والنهاية/ لابن كثير. الطبعة الأولى ١٩٦٦م، مكتبة التصبر بالرياض. ج ١١.
- ١٥- البديع في نقد الشعر/ أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ١٦- البرهان في علوم القرآن، الزركلي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٧م.
- ١٧- البلاغة العربية، د. أحمد مطلوب. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، ١٩٨٠م.
- ١٨- البلاغة والتطبيق/ د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير. مطبعة دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٢م.

- ١٩- بناء الصورة الفنية في البيان العربي، د. كامل حسن البصير. مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م.
- ٢٠- البيان النبوي/ د. محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ١٩٨٧م.
- ٢١- البيان والتبيين/ الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣١٧هـ-١٩٨٨م.
- ٢٢- تاج العروس من جواهر القاموس/ محمد مرتضى الزبيدي، طبعة الكويت، ١٩٦٧م.
- ٢٣- تحفة الأحوذى، شرح جامع الترمذى/ المباركفوري/ طبعة المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- ٢٤- التعبير البياني/ شفيح السيد. القاهرة، ١٩٨٢م.
- ٢٥- التصوير الفني في الحديث النبوي/ د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ١٩٨١م.
- ٢٦- تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير، ج٦. دار الأندلس، الطبعة السابعة، ١٤٠٥هـ.
- ٢٧- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام. دار المعارف، القاهرة.
- ٢٨- جماليات الأسلوب، د. فائز الداية، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١١هـ.
- ٢٩- جواهر البلاغة/ أحمد الهاشمي. منشورات محمد علي منصوب. دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- ٣٠- الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه/ د. محمد الصباغ.
ط٤، المكتب الإسلامي، ١٩٨٢م.
- ٣١- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية/ د. عز الدين علي السيد.
دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٣٢- الحيوان، الجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة
مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤م.
- ٣٣- الخصائص/ ابن جني. تحقيق: محمد علي النجار، طبعة دار
الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م.
- ٣٤- خصائص الأسلوب في الشوقيات/ محمد الهادي الطرابلسي
منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.
- ٣٥- الخطابة/ أرسطو طاليس (الترجمة العربية القديمة) تحقيق: د.
عبد الرحمن بدوي، مطبعة لجنة التأليف، دار الترجمة والنشر،
القاهرة، ١٩٥٩م.
- ٣٦- دراسات بلاغية ونقدية، د. أحمد مطلوب. دار الرشيد للنشر،
بغداد، ١٩٧٨م.
- ٣٧- دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، ط٢، دار الكتب، القاهرة،
١٩٦٧م.
- ٣٨- دلائل الإعجاز، عبد القاهرة الجرجاني. تصحيح السيد محمد
رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، التبيان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
- ٣٩- سنن الترمذي، حكم علي أحاديثه وآثاره ، وعلق عليه محمد
ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،
الرياض، د.ت.

- ٤٠- شرح المعلقات السبع، الزوزني، مكتبة المعارف.بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م
- ٤١- صاحبي في فقه اللغة وسنن العربية / ابن فارس ،تحقيق د . مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ١٩٦٣م .
- ٤٢- صحيح البخاري. مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، د.ت.
- ٤٣- صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٤٤- الصورة الأدبية/ مصطفى ناصف. ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م.
- ٤٥- الصورة البلاغية عند عبد القاهرالجرجاني/ أحمد علي دهمان. دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
- ٤٦- الصورة البيانية في الشعر العربي قبل الإسلام وأثر البيئة فيها/ شاهدة عبد الكريم، بغداد.
- ٤٧- الصورة والبناء الشعري/ د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف.
- ٤٨- الصورة بين البلاغة والنقد/ أحمد بسام ساعي. المنار للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٤هـ.
- ٤٩- الصورة في التراث النقدي والبلاغي/ د. جابر أحمد عصفور. دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٤م.
- ٥٠- الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف/ د. أحمد زكريا ياسوف. دار المكتبة.د.ت.
- ٥١- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، د. نصره عبد الرحمن. مكتبة الأقصى، عمان ١٩٧٦م.

- ٥٢- الصورة الفنية في المثل العربي/ محمد حسين علي الصغير، دار
الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- ٥٣- الطراز، يحيى محمد حمزة العلوي. مطبعة المقتطف المعاصرة،
١٩١٤م.
- ٥٤- علم البيان/ د. عبد العزيز عتيق. دار النهضة للطباعة والنشر،
بيروت، حيان، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.
- ٥٥- العمدة/ ابن رشيد القيرواني، تحقيق: محي الدين عبد الحميد،
ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.
- ٥٦- عيار الشعر/ ابن طباطبا العلوي. تحقيق: عباس عبد الستار،
دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.
- ٥٧- غريب الحديث/ للإمام أبو سليمان البيشي. تحقيق: إبراهيم
العزباوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.
- ٥٨- فن الاستعارة/ د. أحمد السيد الصاوي. الهيئة المصرية العامة
للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧١م.
- ٥٩- فن التشبيه/ علي الجندي، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،
١٩٦٦م.
- ٦٠- في البلاغة العربية، رجا عيّد. مكتبة الطليعة، أسيوط (د:ت).
- ٦١- القاموس العصري الجديد، نخبة من الأستاذة. دار الفكر للجميع،
بيروت، ط٢، ١٩٧٦م.
- ٦٢- القاموس المحيط/ الفيروزآبادي. طبعة، دار الكتب اللبنانية، ط١،
٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.
- ٦٣- قراءة في الأدب القديم/ محمد أبو موسى، دار الفكر العربي،
ط١، (بدون تاريخ).

- ٦٤- القرآن الكريم والدراسات الأدبية/ د. نور الدين عتر، طبعة جامعة دمشق، ١٩٩٢م.
- ٦٥- قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة، دار المريخ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م- الرياض.
- ٦٦- الكامل في اللغة والأدب/ المبرد. تحقيق: زكي مبارك مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٦م.
- ٦٧- كتاب الشعراء / شكري محمد عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- ٦٨- كتاب الصناعتين/ أبو هلال العسكري. تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧١م.
- ٦٩- الكناية والتعريض/ أبو منصور الثعالبي. تحقيق ودراسة: أسامة البيجدي د:ت.
- ٧٠- لسان العرب/ لابن منظور. دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.
- ٧١- المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر/ ابن الأثير الجزري. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٦م.
- ٧٢- المجازات النبوية/ الشريف الرضي، تحقيق وشرح طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.
- ٧٣- مبادئ النقد الأدبي، ريتشارز. ترجمة: محمد مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٣م.
- ٧٤- المستدرك على الصحيحين/ الحاكم النيسابوري. دار الكتاب العربي، بيروت.

- ٧٥- معجم البلاغة العربية/ بدوي طبانة. دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.
- ٧٦- المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة مصر ١٣٧٨هـ.
- ٧٧- مفتاح العلوم/ السكاكي. القاهرة/ مصر ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.
- ٧٨- من بلاغة الحديث الشريف/ عبد الفتاح لاشين، شركة ومكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ١٩٨٢م.
- ٧٩- منهج الترمذي في نقد الحديث/ د. كمال. عبد الغني موسى. المكتب الجامع الحديث الأزارطية، الأسكندرية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٢م
- ٨٠- نقد الشعر/ قدامة بن جعفر. تحقيق. كمال مصطفى ٢. مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٣م.
- ٨١- وحي القلم/ مصطفى صادق الرافعي، ط٦، محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة.
- ٨٢- وفيات الأعيان، أبو محمد بن بكر بن خلكان، ج٤، دار الثقافة، بيروت (بدون تاريخ).